
آيات لقوم
يتفكرون
حسن توفيق شريف

آيات لقوم يتفكرون

حسن توفيق شريف



اسكندرية ـ ٤ ش سعد زغلول ـ ت : ٨١٠٨٢٨
القاهرة ـ ٤٣ ب ش رمسيس ـ ت : ٥٧٤٣٦١١

* تصميم غلاف

چيهان على

* إخراج فنى

چيهان على

الموزعون
بالمملكة العربية السعودية
مكتبة دار الشعب
ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمدك اللهم وأشكرك ، وأتوب إليك وأستغفرك ، وأعوذ بك من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) الكهف

وأصلى وأسلم على خاتم النبيين : سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، المبعوث رحمةً للعالمين .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد......

فإن القارئ لكتاب الله يرى : كيف تَحثُنا آيات كثيرة منه على التفكير فى أنفسنا ... وفيما حوالينا من مخلوقات ... وفيما فوقنا من كواكب وسموات .

" قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . (١٠١) يونس ، " وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ الذاريات . وذلك - ولاشك - برهان واضح على مكانة العقل ... والعلم ... فى نظر الإسلام . إذ العقل : آلة التفكير ، والعلم : ثمرته .

وإذن يكون كل ماورد فى القرآن حاثاً على التفكير إنما هو : إعلانٌ عن فضل العقل ، وإيحاء بالعمل على تربيته وتغذيته وهو - فى الوقت نفسه ... إعلان وتسجيل لفضل العلم ، وإيحاء بالعمل على تحصيله : فيقف الإنسان على الحقائق وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويحرر من رِق الأوهام والخرافات .

وبذلك كان الإسلام دين الفكر ... والعقل ... والعلم .

وهذه نظرات فى مجموعة كبيرة من آيات الله البينات : نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ، ففى وصية من النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال له صلى الله عليه وسلم :

" عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله ، فقال أبو ذر : زِدْنى يارسول الله ... فقال صلى الله عليه وسلم : عليك بقراءة القرآن فإنه : نورٌ لك فى الأرض ، وذُخرٌ لك فى السماء " .

وفى حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم :

" إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قالوا : فما جلاؤها يارسول الله ؟ قال: ذكر الموت ، وقراءة القرآن ، ألم تسمعوا إلى قوله تعالى " وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ" - (٥٧) - يونس .

والله ولى التوفيق

حسن توفيق شريف

كبير الأئمة وشيخ مسجد سيدى جابر

" فاتحة الكتاب "

هذه سورة الفاتحة ، وهى أول سورة كاملة نزلت من القرآن الكريم ولهذا سميت : " فاتحة الكتاب " ، وتصدَّرتْ المصحف الشريف بوحى من الله تعالى .

ونظرة إجمالية لها ترينا أنها قد استوعبت : مايتوقف عليه كمال الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة ، وذلك أن كمال الإنسان باستكمال قوتين :

أولا : قوّة النظر والعلم . ثانيا : قوة الكسب والعمل .

فبالأولى : يدرك الحق ويؤمن به ، وبالثانية : يسلك طريق الخير والهدى .

وسورة الفاتحة : تكفل نصفها الأول ببيان الحقيقة التى هى أساس هذا الوجود : بتقرير ربوبية الله للعالمين ، ورحمته ورحمانيته ، وتفرده بالسلطان يوم الجزاء ، وهذا هو الحق الذى بإدراكه تكمل قوة العلم والمعرفة .

وتكفَّلَ نصفها الثانى ببيان أساس المنهج العملى فى الحياة : سواء فى العبادات أو المعاملات ، فالعبادة لله ، والاستعانة بالله ، والهداية من الله ... وهذا هو الطريق الذى إذا التزمه الإنسان بَعُدَ عن طريق الجاحدين الضالين ... ونعود إلى مفتتح السورة:

" الحمدلله رب العالمين " .

الثناء والشكر المطلق لله سبحانه وتعالى . لماذا ؟ لأنه رب العالمين الذى عَمَّت ربوبيته جميع الكائنات ، وأعطى كل شئ نهاية مايطلبه استعداده .

" **الرحمن الرحيم** " .

اسمين كريمين من أسماء الله الحسنى ، وموقع " الرحمن الرحيم " بعد " رب العالمين " يوضح أن الربوبية ليس مصدرها : الجبروت والقهر ، وإنما مصدرها: عموم رحمته ، وشمول إحسانه لجميع خلقه ... فهُمْ بالرحمة يوجدون ... وبالرحمة يُرزقون ..

وإذا استقرَّ هذا المعنى فى نفوس العباد ، وأن الله يَتَحَبَّبُ إليهم بصفة الرحمة والإحسان كان ذلك أبعث لإقبالهم عليه بصدور مطمئنة ، وقلوب مؤمنة .

" **مالك يوم الدين** " .

الملِكُ والمُلكُ فى هذا اليوم العظيم - يوم الدين والجزاء والحساب - لله وحده ... فى الدنيا مَنَحَ الله بعضِ خَلقه شيئاً من مظاهر المِلك أو المُلك لحكمة أرادها فى نظام هذا الكون .

وفى يَوم الدين انفرد بالملك والحكم والجزاء ، لايشاركه فى ذلك أحدٌ مِنْ خَلْقِه ...

وفى هذا تربيةٌ أخرى للإنسان ، فإنه إذا آمَنَ بيوم يظهرُ فيه إحْسانُ المحسن ، وإساءة المسئ ، وينال فيه كلُّ منهما جزاءه ، وأن زمام الحكم فى هذا اليوم بيد الحكيم الخبير العادل تكوّنَ عنده : خُلُقُ المراقبة ، فكان ذلك أعظم سبيل لصَلاحِهِ .

" **إياك نعبد وإياك نستعين** " .

إن الذى يجدر بالعباد أن يتجهوا إليه وحده بالخضوع والاعتراف بالحاجة إليه هو ذلك الذى وَضحَتْ صفاته وعظمته حتى لكَأنَّهُ يُرَى ويُتوَجَّهُ إليه بالخطاب فنقول له : " إياك نعبد وإياك نستعين " وبذلك يبرُز معنىً هام هو معنى : قُرْبُ الله من عباده ، وشهودُه لكل أحوالهم .

" **اهدنا الصراط المستقيم** " .

أى الطريق الذى لاعوَجَ فيه ولا انحراف ، ويُقْصَدُ به : جُملةُ مايُوصِّلُ الناسَ إلى سعادتهم فى الدنيا والآخرة من عقائدَ وآداب وأحكام منْ جهتى العلم والعمل ، وهو طريق الإسلام الذى ختم الله به الرسالات السماوية .

" **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** " .

والناس أمام الحق والهداية أصنافٌ ثلاثةٌ :

الأول : المؤمنون ... وهؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ...

الثانى : الكافرون ... وهؤلاء هم المغضوب عليهم ...

الثالث : المنافقون ... الحائرون بين إيمانهم الظاهر ، وكفرهم الباطن ... وهؤلاء هم الضالون المتحيرون .

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه : " اللهم إذ هديتنى للإسلام فلا تَنزِعْهُ عنى ، ولاتنزِعْنى عنه حتى تقبضنى وأنا عليه " .

وفى سَنيد ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدَّثَهُمْ أن عبداً من عباد الله قال : يارب ... لك الحمدُ كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، فعضلت الملكين فلم يَدْرِيَاْ كيف : كيف يكتبانها ؟ ... فصعدا إلى الله فقالا :

ياربنا ... إن عبداً قال مقالةً لاندرى : كيف نكتبها قال الله - وهو أعلم بما قد قال عبده - ومالذى قال عبدى ؟

قالا : يارب إنه قال : لك الحمد يارب كما ينبغى لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك . فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى ، حتى يلقانى فأجازيه بها " ... أو كما قال..

التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لاذنب له ..

الحمدلله ، وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد ،

فهذه فاتحة الكتاب ، التى نقرؤها ونتلوها فى كل ركعة من ركعات الصلاة فما هو النداء والآذان الذى يدعونا إلى الصلاة ؟

إن المؤذن ينادى :

" الله أكبر ... الله أكبر " ..

إنه نداءٌ جميل ، يُذكِرُ الناس بالغايه الأولى من محْياهُمْ ، وبالمرجْع بعد مماتهم ، فكم اجتذبت انتباه البشر غاياتٌ صغيرة ، فيجيئ صوت الحق خمس مرات فى اليوم والليلة ليذكِرَهُم بتكبير سيِّد الوجود ، ورب العالمين ...

" أشهدُ ألا إله إلا الله ... أشهد ألا إله إلا الله " ..

لقد سقط الشركاءُ جميعاً ، الذين لايملكون لأنفسهمْ ضَراً ولانفعاً ولئن كان المضللون يشركون مع الله بعض خلقه فإن المؤمنين لايعرفون إلا اللهَ رَبّاً .. فالتوحيدُ الخالص هو : جوهر عقيدتهم .

ولكن .. مَنْ هو قُدْوَتُهمْ وإمامُهم الأكبر ؟ إنه يتمثل فى العبارة التالية :

" أشهد أن محمداً رسول الله ... أشهد أن محمداً رسول الله " ..

سيرةُ هذا البشر والرسول هى المثلُ الكامل لكِل إنسان يبغى الحياةَ الصحيحة ، وهو يهيبُ بكل ذى عقل أن يقْبِلَ على أداء عبادةٍ ميسورة رقيقة هى الصلاة فيقول :

" حى على الصلاة ... حى على الصلاة " ..

فهذه الصلوات هى لحظات التأمُّل من خلال ضجيج الدنيا ، هى لحظات الخشوع لله كلما طغى على المرء غروره .. هى لحظات الاستمداد والإلهام .. ثم يَحُثُّ الناس أخيراً على تجَنُّبِ الخيبة فى شئونهم كلها .

والخيبة إنما تكون فى الجُهْدِ الضائع سُدًى ، نتيجةً للضلال فى العقيدة فينادى :

" حى على الفلاح ... حى على الفلاح " ..

ويوم يخرج العَمَلُ من الإنسان وهو صَحيحٌ فى صورته وفى نيَّتِهِ فقد أفْلح .. ولاسبيل إلى ذلك إلا بإصغار ماعدا الله منْ غايات والتزام توحِده ، ثمَّ يعودُ إلى تقرير الغاية والمنهج مرةً أخرى فيقول :

" الله أكبر ... الله أكبر ... لا إله إلا الله " ..

* * *

القرآن .. المعجزة الخالدة

" وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ - ١٩٤- ١٩٥ الشعراء .

* * *

القرآن الكريم هو : كلام الله الذى نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون حجة له على صدق رسالته ، ودستوراً للناس يهتدون بهُداه ، وقُرْبَهُ نتعبَّدُ الله بتلاوته .

نُقلَ إلينا بالتواتُر : كتابةً ومشافهة . جيلاً عن جيل ، محفوظاً من أى تغيير وتبديل مصداقاً لقوله تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ " ، -٩- الحجْر وقد جادل الكفار فى ذلك ، وطعنوا على القرآن بأنه من صُنع البشر ، وقد حكى القرآن عنهم ذلك فى قوله تعالى : " وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ " ٤ الفرقان وهنا تحدَّاهُم القرآن - وهم أهلُ البيان ،وفيهم ملوك الفصاحة ، وقادةُ البلاغة - تحداهم أن يأتوا بمثله فقال تعالى :

" أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ٣٣-٣٤ الطور - فعجزوا .. تحداهم أن يأتوا بعشر سُوَرٍ مثله .

" أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ١٢ هود .. فعجزوا .. تحداهُم أن يأتوا بسورةٍ من مثله : " وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ٢٣ - البقرة .

ولكنهم عجزوا .. والتجأوا إلى محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل وائتمروا

على قَتْله ... وإنَّ التجاءهم إلى محاربة الرسول بَدَلَ معارضته . وائتمارهم على قَتْله بدل ائتمارهم على الإِيْتَانِ بمثل قرآنه لهُوَ اعْتِرافٌ منهم بعجزهم عن معارضته ، وتسليمٌ بأن هذا القرآن فوق مستوى البشر ، ودليلٌ على أنه من عند الله .

ولكن : لماذا عجزوا ؟ وما هى وجوه الإعجاز ؟

اتفقت كلمة العلماء على أن القرآن لم يعجز الناس أن يأتوا بمثله من ناحية واحدة ، وإنما أعجزهم من نواحٍ متعددة : لفظية .. ومعنوية .. وروحية .. واتفقوا أيضاً على أن العقول لم تصل حتى الآن إلى إدراك نواحي الإعجاز كلها ... وأنا أكتفى هنا بذكر بعض هذه النواحى :

أولا : اتّساقُ عبارات القرآن ومعانيه، وأحكامه ونظرياته ... فمع أن القرآن تكوْن من أكثر من ستة آلاف آية ، وطرق موضوعات متعددة :

اعتقادية ... وخُلُقية .. وتشريعية ، وقرر نظريات كثيرة : كونية .. واجتماعية .. وَوجْدَانية ، الا أننا لجد كل عبارة من عباراته مطابقة لمقتضى الحال ، كما أننا لا نجد فيه معنىً يعارضُ معنىً ، أو حُكماً يناقصُ حكماً .

ولو كان صادراً من عند غير الله لما سلم من الاختلاف ، لأن العقل الإنسانى - مهما نضج - لا يمكن ان يكون ستة آلاف آية ، فى ثلاث وعشرين سنة لا تختلف آيةٌ منها عن أخرى فى مستوى بلاغتها ، ولا تعارضها فى حكم اشتملت عليه .

وإلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز ارشد سبحانه وتعالى بقوله : " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا " -٨٢- النساء .

ثانيا : انطباق آياته على ما يكشفهُ البحث من حقائق علمية ، فمع أن الله أنزل القرآن على رسوله ليكون حجةً له ودستوراً للناس .. وليس من مقاصده الأصلية أن يقرر نظريات علمية ، لكنه فى مقام الاستدلال على وجود الله ووحدانيته وتذكير

الناس بنعمه جاء بآيات يُفهَمُ منها بعض السنن الكونية التى كشف العلم الحديث عن أدلتها مثل قولهً تعالى :

" وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُنْعَ الله الذى أتقنَ كل شئ " -٨٨- النمل ، وقوله تعاله : " فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ

فكلما كشف البحث العلمى سُنَّةً كونيه ، وظهر أن آيةً فى القرآن تُشر إليها قام برهانٌ جديد على أن القرآن من عند الله .. وإلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز أرشد سبحانه وتعالى بقوله : " سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ -٥٣- فصلت .

ثالثا : اخبارهُ بوقائعَ لا يعلمها الا علاَّمُ الغيوب ، فقد أخبر القرآن عن وقوع حوادث فى المستقبل لا علم لأحد من الناس بها كقوله تعالى :

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ١ -٣- الروم . وكقوله تعالى : " لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ " -٢٧ - الفتح وقَصُّ القرآن قصَصَ أمم بائدة ليست لها آثارٌ تدل على أخبارها ، وهذا دليل على أنه من عند الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الماضى .. والحاضر .. والمستقبل . وإلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز أرشد سبحانه وتعالى بقوله : " تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

عن البنى صلى الله عليه وسلم انه قال : " أما إنها ستكوُنُ فتنة .. قيل " ، فما المخرج منها يا رسول الله ؟

قال : كتابُ الله .. فيه نبأ من قبلكم ، وخَبَرُ مَنْ بعدكم ، وحُكْمُ ما بينكم ، وهو حَبْلُ الله المتين " .أو كما قال .. التائبُ حبيبُ الرحمن ، والتائبُ من الذنب كمن لا

ذنب له ..

* * *

الحمد لله .. وصلاةً وسلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد فإن القرآن الكريم هو : معجزةُ الرسول صلى الله عليه وسلم العامة.. الخالدة .. وقد ذكرنا – على سبيل المثال – ثلاثة أوْجُه من وجوه اعجازه .. وهذا عدا فصاحة ألفاظه ، وبلاغة عباراته ، وقوة تأثيره ..

فليس فى القرآن لفظٌ يَنبو عن السَّمع ، وعباراتُهُ فى أرْقىَ مستوىً بلاغيّ ؛ يتجلىُ هذا لكل منْ له ذوقٌ عَرَبى : فى تشبيهاته .. وأمثاله .. وحججه .. ومجادلاته .. وفى إثباته العقائد الحقَّة .. وإفحامِه المُبطِلين .. وفى كل معنىً عَبَّرَ عنه .. أو هدف رَمَى إليه .

أما قوةُ تأثيره فى النفوس ، وسلطانِه الرُّوحى على القلوب ، فهذا يشعُرُ به كل مُنصِف ذى وجدان ..

وحَسْبُنَا بُرهاناً على ذلك أنه : لا يُمَلُّ سَمَاعُه ، ولا تَبلَى جدَّتُه .. ولقد قال الوليد بن المغيرة عند سماعه – وهو ألدُّ أعداء الاسلام :

والله لقد سمعتُ كلاماً ما سمعتُ مِثْلَهُ قَّط ، إنَّ لهُ لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاهُ لمثمر ، وإنَّ أسفله لمغْدِق ، وما هو بقول البشر .. وكما يقولون : والفضلُ ما شهدَتُ به الأعداءُ .

* * *

وفقنا الله سبحانه الى الاعتصام بكتابه الكريم – حبل الله المتين .. وأعزَّنا .. ونصَرَنا .. وهيَأ لنا من أمرنا رشداً ..

* * *

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات .. الخ ..

" من يطع الرسول فقد أطاع الله "

" مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا " ـ ، ٨٠ ـ
النساء .

***

السُّنَّةُ النبوية الشريفة هى : ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من : قَوْلٍ .. أو فعْل .. أو تَقْرير ؛ فالسُّنة القولية هى : أحاديثه صلى الله عليه وسلم التى قالها فى مُختَلف الأغراض والمناسبات ، مثل قوله : " إنما الأعمال بالنِّيَّات " .

وقوله : " لا ضَرَرَ ولا ضِرَار " ، وغير ذلك .. والسُّنَنُ الفعلية هى : أفعاله صلى الله عليه وسلم مثل : أدائِه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها وهو يقول : صَلّوا كما رأيتمونى أُصَلّي " .. وأدائِه مناسك الحج وهو يقول ، " خذوا عَنِّي مناسككم " .

أما السُّنَنُ التقريريه فهى : ما أَقَرَّهُ الرسول صلى الله عليه وسلم مما صَدَر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال : بسُكوتِه وعَدَم إنكارِه ، أو بموافقته وإظهاراً استحسانه ، فيعتبرُ بهذا الإقرار والموافقة عليه صَادِراً عن الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم . وذلك مثل ما رُوِىَ :

" أنَّ صَحَابِيَّيْن خَرَجَا فى سَفَر ، فحضرتهمَا الصلاة ، ولم يَجِدَا مَاءً ، فَتَيمَّمَا وصَلَّيَاَ ؛ ثم وجدا الماءَ فى الوقت ، فأعاد أحدهما ولم يُعيد الآخر ؛ فلما قصَّا أمرهما على الرسول صلى الله عليه وسلم أقَرَّ كلاً منهما على ما فَعَل ، فقال للذى لم يُعِدْ : أصَبْتَ السُّنَّة وأجزأتك صلاتُك ، وقال للذى أعاد : لكَ الأجرُ مَرَّتَيْن ..

***

هذه هى السُّنة .. وقد أجمع المسلمون على أن ما صَدَر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير - وكان مقصوداً به التشريع والاقتداء ، ونُقِلَ إلينا بِسَنَدٍ صحيح - يكون حُجَّةً على المسلمين .. أى أن الأحكام الواردة فى هذه السُّنَن تكون مع الأحكام الواردة فى القرآن : قانوناً واجب الاتبَّاعَ .

والبراهينُ على حُجّيّة السُّنة عديدة أولها : نصوص القرآن ، فإن الله سبحانه وتعالى فى كثير من آى الكتاب الكريم أمَرَ بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وجعل طاعة رسوله طاعة له ، ونفى الإيمان عَمَّنْ لم يطمئن إلى قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى : " قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ " ، ٣٢ - آل عمران .

وقال تعالىٰ : مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ٨٠ النساء . وقال تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٦٥ - النساء .

وفى هذا كله برهانٌ من الله على أنَّ تَشريعَ الرسول إنما هو تشريعٌ إلهى واجبٌ اتباعه . قال تعالى : " وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ - النجم .

ثانيها : إجماع الصحابة رضوان الله عليهم - فى حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته - على وجوب اتباع سنته ؛ فكانوا فى حياته يُمْضُونَ أحكامه ، ويمتثلون أوامره ونواهيه ، ولا يُفَرّقُونَ - فى وجوب الاتباع - بين حُكم أُوحِىَ إليه فى القرآن ، وحُكمٍ صَدَرَ عن الرسول نفسه . وكانوا - بعد وفاته - إذا لم يجدوا فى كتاب الله حُكْمَ ما نزل بهم رَجَعُوا إلى سُنة رسول الله ، فأبو بكر الصديق رضى الله عنه كان اذا لم يحفظ فى الواقعة سُنَّة خَرَجَ فسأل المسلمين : هل فيكم مَنْ يحفظ فى هذا الأمْر سنة عن نَبِيِّنَا ؟ وكذلك كان يفعل عمر وغيره ، بحيثُ لم يُعْلَمْ أنَّ أحدا منهم خالف فى أنَّ السُّنة إذا صَحَّ نَقْلُهاَ وَجَبَ إتباعها .

ثالثها : أن القرآن فَرَضَ اللهُ فيه على المسلمين عِدَّةَ فرائِض مجْمَلَةَ ، ولم يُفَصِّلْ

فى القرآن أحكامها ، ولا كيفية أدائها فقال تعالى : " فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ " ٧٨ - الحج ، وقال : "كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ" ، ١٨٣ - البقرة . وقال : " ولله على الناس حِجُّ البيت من استطاع إليه سبيلا " ، ٩٧ - آل عمران ، ولم يُبَيِّنْ : كيف تقامُ الصلاة ؟ وتؤتَى الزكاة ؟ ويُؤدَّى الصوم ؟ والحج ؟

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الإجمال بسُنَّته القولية والعملية ، لأن الله مَنَحهُ سُلطةَ هذا التبيين والتوضيح بقوله جل شأنه : " وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " ، ٤٤ - النحل ، فلو لم تكن هذه السُنَنُ البيانية حُجَّةَ على المسلمين ما أمْكنَ تنفيذُ فرائضِ القرآن ، ولا اتباعُ أحكامه .

فكل سُنة لشريعة صَحَّ صدُورها عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهى حُجَّةٌ واجبةُ الاتباع ، لأنها كلها مصدرها : المعصومُ صلى الله عليه وسلم الذى منحهُ اللهُ سُلطة التبيين والتشريع .

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لقد تركتُ فيكم ما إن أَخَذْتُمْ به فلن تَضِلُّوا بعدى أبداً كتاب الله ، وسنَّتِى " ، أو كما قال .. " التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنبَ له " .

***

الحمد لله .. وصلاةً وسلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد .

فإن السَّيْرَ فى ركاب المرْسَلِين هو الخير كلهُ ، ومنَ ثمَّ كانت سنةُ محمد صلى الله عليه وسلم : مَصْدَراً لشريعته مع الكتاب الذى شرَّفهُ الله به ؛ وجمهور المسلمين على هذا الفهم .

إلا أن السُنَن المأثورة عَرَضَ لها ما يُوجبُ اليقظةَ فى تَلَقِّيها ، فليس كل ما يُنْسَبُ الى الرسول صلى الله عليه وسلم سُنَّةً تُقْبَلْ ، ولا كلُّ ماصَحَّتْ نِسبَتُهُ صَحَّ فهمُه ؛ ووضْعَ مَوْضِعَه . والمسلمون لم يُؤْذَواْ من الأحاديث الموضوعة قَدْرَ ما أُوذُوا من

الأحاديث الصحيحة التى أسئ فهمُها روى مسلم فى صحيحه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب أبا هريرة رضى الله عنه لما سمعه يحدثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . " منْ قال لا إله الله دخل الجنة " .. لا لأنَ عمر يتهم أبا هريرة بالكذب ، بل لأنه وجد أبا هريرة يذكر الحديث لمن لا يُحْسِنُ فهمه ، فإن ظاهر الحديث يُوهِمُ بأن الإسلام كلمةٌ تُقالُ باللسان ، ولا عمل وراءها .. وليس هذا - طبعاً - هو ما قصد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم . فإن من يذكر هذا الحديث المجمل مِنْ واجبه أن يذكر الحديث الشارح : "ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ، ما وقرَ فى القلب . وصدقه العمل" .

ولذلك فإنه لايجوز أن يشتغل بالسُّنَة من لم يَدْرُس علوم القرآن ، ويضرب فيها بسَهمْم وافر ،·فان القرآن هو الدستور الأصيل للإسلام ، وهو الذى يُحَدِّدُ للمسلم بدقة تامة حُقوقَهُ وواجباته . والذى يعجز عن تحصيل هذه الحقائق من القرآن ، فلن يُعوِّضَهُ عن فُقْدانها شئٌ آخر .

ويجئُ - بعد رسوخ القدم فى فهم القرآن - فَهْمُ ما يُروى من السُّنَن على وَجْهِه الحق ، فَخَيْرٌ لمن يَقْصُرُ عَنْ فَهم السُّنَن أن يحبسَ لسانه فى فمه ، فلاَ يقول : قال الرسول .. ثم يسوق حديثاً لا يعرف ما المقصود منه - وإن كان يعرف عبارته الظاهرة وحدها ..

نفعنا الله بالكتاب والسنة ، وفقهنا فى ديننا وأعزَّنا ونَصرنا وهَيأ لنا من أمرِنا رشداً .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات .. الخ ..

* * *

" الإسلام هو الصراط المستقيم "

"وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " - ١٥٣ - الأنعام .

***

الصراط المستقيم : هو الطريق الذى لا عوجَ فيه ولا انْحراف ، وقد عَبَّرَ اللهُ به عن : جُمْلَةِ ما يوصِّلُ الناسَ إلى سعادتهم فى الدنيا والآخرة : مِنْ عقائدُ ، وآداب وأحكام من جهتَى العلم والعمل ؛ وهو سبيل الإسلام الذى ختَمَ الله به الرسالات السَماوية .

وحسبنا فى معرفة أن الإسلام هو الصراط المستقيم أن نتَتَبَّعَ حالة العَالَم فى عصوره المختلفة قَبْلَه ؛ فإننا سَنجدُ أن العالم كان يتردَّدُ بين طَرَفَى ؛ الإفراط .. والتفريط ، وكان ذلك شأنَهُ فى كل شئ : فى العقائد .. فى الأخلاق .. فى صلة الإنسان بالحياة .. فى علاقة الفرد بالمجتمع .. إلى غير ذلك من سائر الشئون . وقد جاء الإسلام فأعلن : أن العَالَمَ لا يصلح بواحدة من هاتين الخطتين ، لمنافاتهما للفطرة الإنسانية ؛ فجاءت لذلك شريعته وسطاً : لا إفْراطَ فيها ولا تفريط ، ووقعت أحكامها ومبادئها - مهما تنوعت - فى حدود هذه الدائرة التى رسمها كتاب الله فى قوله تعالى : " وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا " ١٤٣ - البقرة .

فى العقيدة .. هناك مَنْ يُنكرُون الإله ، ويزعمون أنَّ هذه الدنيا ليست إلا وليدة التفاعلات المادية "وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ " . ٢٤ - الجاثيه . وهناك مَنْ يقولون بالتعدُّد ، ويتخذون مع الله أنداداً .. تقرر الشريعة مع العقل فى وضوح أن الله اله واحد ، وأنَّهُ المعبود الذى لا يُعْبَدُ سواه : " وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ " ٥١ - النحل .

وهى فى الأخلاق : وَسَطٌ بين الذين يتحللون من كل الفضائل ، والذين يشتطون فى تصوُّر الفضيلة ، والْتزَام طرف التشديد فيها .. تقرر الشريعة أنّ الفضيلة وَسَطٌ بين الرذيلتين : لاجُبْن ، ولا تهوُّر .. بل شجاعة ..لا استكْبار ، ولا استْخذاء .. بل تواضُع .. لابخُل ، ولا تبذير .. وأساسُ ذلك كله قولُهُ تعالى : " وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا " .
- ٢٩ - الإسراء .

وهى فى صلة الإنسان بالحياة وسطٌ بين المادية البَحْته .. والرُّوحية البحتة .. المادية البحتة التى لا تعرف شيئاً وراء ما يقع عليه الحِسّ من طعام وشراب وشهوات وجمع للأموال وتكاثر وتفاخر - والروحية البحتة - التى تزَهّدُ فى الحياة وتعرض عنها فلا زواج ولا سعى ولا عمل - يقرر الإسلام فى ذلك الوسط أيضا فيقول تعالى : " وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا " . ٧٧ - القصص .

* * *

وهى فى تحديد علاقة الفرد بالمجتمع وسطٌ أيضاً .. لم تترك الفرد طليقاً يفعل ما يشاء كالوحش فى الصحراء ، ولم تُلغِ شخصه وتضُيّعَهُ فى غمار الجماعة كأنه جزءٌ من آلة يتحرك بحركتها ، لكنها اعتبرته ذا شخصية مستقلة ، وفى الوقت نفسه اعتبرته لبِنَةً فى بناء المجتمع فأثبتت له بالاعتبار الأول : حق الملكية لماله ودمه والهيمنة على نفسه وولده يتصرف بما يراه خيراً له ، وأوجبت عليه بالاعتبار التالى حقاً فى نفسه وماله فى سبيل الله ، وأوجبت عليه إرشاد الأمة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* * *

وهى فى طريقة التشريع ووضع قوانين الحياة وسط أيضاً : لم تدع الناس يْشرَعون لأنفسهم فى كل شئ ، ولم تقيدهم بتشريع من عندها فى كل شئ ، بل نصت .. وفوّضَتْ .

نصت فيما لا تستقل العقول بإدراكه كالعبادات ، وفيما لا تختلف المصلحة فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة كأصول المعاملات : من بيع وشراء ، وتحريم لأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك .

وفوضَتْ فيما يدرك العقل الخير فيه ، وتختلف المصلحة فيه باختلاف الأزمنة والأمكنة ، ومن هنا وجد الاجتهاد ، وكان من أركان الشريعة الإسلامية ، وحفظ الله به العقل الإنسانى فى كرامته .

رعندما بعث النبى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبْل والياً على اليمن سأله اولا : بم تحكم يامعاذ إذا عرض لك امر ؟ قال : بكتاب الله قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله قال : فإن لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيى لا آلو - أى لا أقصر فى الاجتهاد .

فسُرُّ النبى صلى الله عليه وسلم وقال : الحمد لله الذى وفق رسولَ رسولِ الله لما يرضى الله ورسوله ...

الحمد لله .. وصلاةً وسلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد .

فهذا هو الصراط المستقيم ، والمبدأ الوسط الذى تسير عليه الشريعة الإسلامية فى جميع أحكامها ، والذى صلُحَتْ به لكل زمان ومكان ، وأستحقت به الخلود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وقد أكمل الله نعمته على عباده - بعد نعمة العقل - بهذه الهداية التشريعية التى من شأنها أن تشُد أُزرَ العقل ، وأن تحمله على الجادةُ حتى لا يتأثر فى أعماله وأفكاره بشهوةٍ ولا رغبة ، فتسلم عقائد الناس من الضلال وتصلح أعمالهم وتبرأ من الفساد .

وعندما علمنا الله سبحانه هذا الدعاء الجميل فى فاتحة الكتاب :

" إهدنا الصراط المستقيم " ، وصف هذا الصراط بقوله : " صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ، فجاء وصفه ولهُ من ناحية المستقيمين

عليه الذين حازوا رضا الله ، وتجنبوا غضبه وحفظوا من الضلال .

وفى هذا من الإغراء به والإطماع فيه ما يدفع بالناس إلى تَلَمُّسِهِ والاستقامة عليه

فاللهم اهدنا صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهمْ ولا الضالين ... آمين .

* * *

" صفات المتقين "

" الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

المتقون : هم الذين يَقُون أنفسهم ويحفظونها من عذاب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة وذلك بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهية ، وقد وصفهم الله بصفات خمس هى : أمهات الفضائل ، ودلائل الفطرة السليمة ، وأسباب الاهتداء /

بين الصفة الأولى بقوله : ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ . -٣ - البقرة . والمراد بالإيمان بالغيب : التصديق والإذعان بما غاب عن الحواس الظاهرة متى قام عليه الدليل الصحيح والناس فريقان : فريق مادى لا يؤمن ولا يصدق إلا بما أدركه حَسُّهُ الظاهر ، وفريقٌ غير مادى : يؤمن بما أدركه حسُّهُ الظاهر ، وبما أدركه وجدانه وارشده اليه عقله بالبرهان .

وأساس الإسلام : الإيمان بالغيب ، ومن لا يؤمن بالغيب لا يؤمن بالله وملائكته ولا باليوم الآخر ، لأن ذلك كله غيب لا تدركه الحواسُّ الظاهرة ولكن يدركه العقل بما قام عليه من الدلائل الصحيحة .

* * *

الصفة الثانية بينها سبحانه بقوله : " ويقيمون الصلاة " . والصلاة هى العبادة الأولى التى كتبها الله على المسلمين خمس مرات فى اليوم والليلة ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله أوقاتها وكيفية أدائها . وقد فرضت على المسلمين قبل الهجرة بعام .

ولم يقل سبحانه : ويصلون بل قال : " ويقيمون الصلاة " ، للإشارة إلى أن المتقى هو : من يؤديها مُقامه لا عوج فيها ، مقرونة بالخشوع لله ، والتوجه الكلى إلى الله ، واستحضار عظمة الله وألوهيته .

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : " كان النبى صلى الله عليه وسلم نحدثهُ ويُحَدثُنَا فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه :اشتغالاً بعظمة الله عز وجل .

ولا ريْبَ فى أن أداء الصلاة على هذا الوجه خمس مرات فى اليوم والليلة ، يجعل القلب دائماً عامراً بذكر الله ، واقفاً عند حده ، مستأهلاً للأهتداء ، بهديه .

الصفة الثالثة بينها سبحانه وتعالى بقوله : " ومما زرقناهم ينفقون ، والمراد أن هؤلاء المتقين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ، وهذا الإنفاق يشمل إنفاقهم على أنفسهم وأسرهم فى غير سرفٍ ولا مخيله " .

كما يشمل الانفاق فى كل وجوه الخير ..

ولم يقل سبحانه : ومن أموالهم ينفقون بل قال : " ومما رزقناهم ينفقون " . للإشارة إلى أنهم إنما يُعْطُونَ مما أعطاهم الله وإلى أن إنفاقهم إنما هو شكرٌ لله على مارزقهم ". ولا ريب فى ان إنفاق ذى المال ماله فى سبيل الله يُطهَر نفسه من الشح والأنانيه والقسوة ويوجهها إلى الخير ، ويجعلها مستأهلة للاهتداء بهديه .

ولا شئ يحول بين المرء وبين كثير من أنواع الخير إلا الشُح ، والحرص على المال ، ولذا قال تعالى : " وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ. - ٩ - الحشر .

***

الصفة الرابعة بينها سبحانه بقوله : " والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك " ، والمراد أن هؤلاء المتقين يؤمنون ويصدقون بما أنزل إلى الرسول وهو القرآن ، وما أنزل الى الرسل من قبله من التوارة والانجيل وسائر الكتب المنزلة على رسل الله السالفين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

والمراد بإيمانهم بما أنزل الى الرسل تصديقهم واعتقادهم بأنه منزل من عند الله ، وتصديقهم واعتقادهم بأنه منزل هدى للناس ورحمة ، فهم مؤمنون بمصدره ، وبالغاية المقصودة منه .

***

الصفة الخامسة بينها سبحانه وتعالى بقوله : " وبالآخرة هم يوقنون " ، أى أنهم يوقنون بأن لهم معاداً إلى ربهم فى حياة أخرى يحاسبون فيها على ماعملوا فى حياتهم الأولى .

فهم موقنون بحياة أخرى ، وبكل ماورد فى التنزيل عن تلك الحياة الأخرى من :" بعث .. وحساب .. وجزاء قال تعالى : " وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ "-٧٨-٧٩..يس .

وقد نزلت هذه الآية فى شأن الأعرابى الذى جاء يهزأ بالبعث وبيده عظمة بالية يفركها بين أصابعه وهو يقول للنبى صلى الله عليه وسلم : أترى يا محمد أن الله يبعث هذه بعد مارمتْ وبلت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم نعم ... ويبعثك ويدخلك النار" .

أما بعد ، فهذه هى صفات المتقين التى استأهلوا بها للاهتداء بالقرآن الكريم وهى صفات تؤهلُ للهدى والخير حقا .

لأن إيمانهم بالغيب ، وعدم جمودهم على المحَسّ الظاهر دليل على سلامة فطرتهم واذعانهم للحق الذى قام عليه البرهان : محسوساً كان أو من الغيب .

وإقامتهم للصلاة دليل على توجههم لله ، وقصده وحده بالعبادة والخضوع ، وإنفاقهم مما رزقهم الله دليل على طهارة أنفسهم من الشح والأنانية ، وعمران قلوبهم بالعطف والرحمة .

وإيمانهم بما أنزل الى الرسول وما أنزل إلى الرسل من قبله دليل على أنهم استسلموا

لرسل الله ، واتخذوا ما جاءوا به إماماً لهم .

وإيمانهم بالآخرة آية ذلك التصديق ، ودليل على شعورهم بأنهم مسئولون عن عملهم في هذه الحياة .

وكل هذه الصفات دعائم للاهتداء ، ولذا قال تعالى : "أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون " .

والإفلاح هو : الفوز ، وبلوغ المقصود " قد أفلح المؤمنون " ،أى فازوا برضا ربهم .

وأطلق سبحانه افلاحهم للإشارة إلى أن فوزهم فى الدنيا والآخرة لأن القرآن فيه هدًى لسعادة الدارين والفوز فى الحياتين .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

" البر فى العقيدة .. والعمل .. والخلق "

" لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ البقرة .

وَرَدَتْ كلمة " البر " فى مواضع متعددة من القرآن الكريم ، وهذه الآية هى أَجْمَعُ الآيات فى تحديد معنى " البر " ، فهى ترشد إلى أن " البر " ، لا يرتبط بشئ من المظاهر والأشكال . وإنما يرتبط بالحقائق وروح التكاليف .. وترشد الى أن "البر" ، أنواع ثلاثة جامعةٌ لكل خير : برٌ فى العقيدة .. وبرٌ فى العمل . وبرٌ فى الخلق

فالبرُ فى العقيدة بينتهُ الآية فى أمورٍ خمسة : الإيمان بالله الذى لا تعْنُو الوجوه إلا له ، ولا تتجه القلوب إلاَ إليه .. هذا الإيمان بعظمة الإله هو الذى يصون المرء عن الذلة لشئ ما ، بل هو نبراسُ الهداية فى جميع نواحى الحياة ، والإيمان باليوم الآخر - يوم المحاسبةعلى ما فى القلوب والضمائر - وهو معنىً يغرس فى النفوس محبة الخير وكراهية الشر

* * *

والإيمان بالله .. والإيمان باليوم الآخر هما : الإيمان بالمبدأ والمعاد ، والإيمان بالله وباليوم الآخر على الوجه الحق - وهما من الغيب المطلق - لا يمكن لعقل بشرى أن يصل إليه مستقلا ، فإن العقل البشرى ذو استعداد محدود ، فلابد أن يُهْدى من

مصدرٍ لا يُحَدُّ علمه – وهو الله ..

وإذن فلابد من واسطة بين هذا المصدر وبين الخلْق ، وهذه الواسطة تكوَّنَتْ من ثلاثة عناصر :

عنصرٍ فى الطرف الأعلى له حسب تكوينه : استعدادٌ يُمكّنُهُ من التَّلَقِّى عن الله مباشرةً – وهم الملائكة – والإيمان بالملائكة أصلٌ للإيمان بالوحى .

وعنصر فى الطرف القريب من الناس ، هو منهم بمقتضى بَشَرِيّته ، وله صلة بالملأ الأعلى بمقتضى روحانيته " واصطفائه" ، وهم الأنبياء .

والعنصر الثالث هو نفس الرسالة والوحى ، وقدعبر الله عنهما فى الآية بالكتاب .

وبهذا تمت الأمور الخمسة التى هى البر فى العقيدة ، والتى عبرت عنها الآية الكريمة بقوله تعالى : " ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين " ..

أما البر فى العمل فله شَعَبٌ كثيرة ترجع كلها – مهما تنوعت – إلى بذل النفس والمال ابتغاء مرضاة الله ، وهناءة خلق الله .

والعمل هو : ثمرة العقيدة ، يحفظها .. ويُنميتّها .. ويدلُّ عليها .

وقد ذكرت الآية بذل النفس فى أعظم مظاهره ، وذلك هو : إقامة الصلاة حيث يقف المرء بين يدى ربه وقد خلع نفسه من كل شئ فى دنياه ، فلا مال .. ولا جاه .. ولا ولد .. ولكن : تسليم لله الذى يبذل فى سبيل مرضاته المُهَجُ والنفوس .

فالصلاة .. فى حقيقتها – عهدٌ بين العبد وربه – على بذل النفس والتضحية وذكرت الآية بعد ذلك .. بذل المال فى صورتين إحداهما قوله تعالى :

" وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين – والأخرى قوله فى نفس الآية : " وآتى الزكاة " .

ويَفْهَمُ من ذلك أن الزكاة شئ ، وأن إيتاء المال – على حبه – هؤلاء الأصناف شئ

آخر .. فهؤلاء القادرون الذين يكتفون بالزكاة ولا يمدون المساعدة لِسَدّ حاجة المحتاجين ودفع ضرورة المضطرين والقيام بمصالح المسلمين ليسوا على البر الكامل الذى يريده الله من عباده .

***

أما البُر فى الخُلقُ فقد ذكرته الآية فى مبدأين مبدأ القيام بالواجب عبرت عنه الآية لقوله تعالى : " والموفون بعهدهم إذا عاهدواْ .

والعهد لفظ شامل يجمع ألواناً من الارتباطات لا غنى للناس عنها وهى - على كثرتها - ترجع الى : عهدٍ بين الانسان وربه ، أوعهد بين الإنسان والإنسان ، أو عهد بين الدولة والدولة ، وكلها يجب الوفاء بها مالم تكن فى معصية الله .

ومبدأ مواجهة الطوارئ والتغلُّب على عقبات الحياة ، وقد عبَّرتْ عنه الآية لقوله تعالى: " والصابرين فى البأساء والضراء وَحِينَ البأس " ، والصبر عُدَّةُ النجاح فى الحياة، وليس هو الخضوع والأستكانه من غير مقاومة ولا عمل ، وإنما الصبر ، جهادٌ ومحاولة - مع الاحتفاظ برباطة الجأش والثقة بحسن العاقبة .

وقد ذكر الله سبحانه حالات ثلاث هى أبرز ما يظهر فيها الهلع والجزع : اليأساء... والضراء .. وحين البأس .

فالبأساء من البؤس .. وهو الشدة والفقر - ، والضراء : ما يضر الإنسان - من مرض أو فقد محبوب - ، وحين البأس حين اشتداد الحرب وقد عنى القرآن بالحث على الصبر فى المواطن كلها .

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : البُر حُسْنُ الخُلقُ " .

أما بعد ، فهذه عناصر البر فى العقيدة .. والعمل .. والخلق .. وهى دستور قوى متين ،، ترقى به الأمم الى أوج العزة والكرامة ، وتنأى به عن الشرور ، ومفسدات الأمن والطمأنينه ، ومنقصمات السعادة والهناء ، وحسبنا فى ذلك أن الآية الكريمة -

بعد ذكر هذه العناصر - قد حصرت الصدق والتقوى فى أصحابها : المؤمنين بها .. العاملين عليها : المحققين لثمارها فقال تعالى : " أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " .

صدقوا فى إيمانهم .. صدقوا فى أعمالهم .. صدقوا فى أخلاقهم .. وهم الذين يصدُقُ عليهم أنهم : المتقون على الأطلاق ، الذين يعملون لكل ما يَصْلُحِهُمُ ويصلح الناس ، ويتجنبون كل ما يضرَهم ويضر الناس .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

" الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾
أول آل عمران .

* * *

" الله " : عَلَمٌ على واجب الوجود الأزلىّ الأبدىّ ، الذى لا تصل إلى كُنْهِهِ العقول ولا تدركه الأبصار قال تعالى : " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " ، فلا معبودَ بحَقٍّ الا هو .. ويتضَمَّنُ ذلك وصفَهُ بكل كمال ، وتنزهَهُ عن كل نقص لأن المعبودَ بحَقٍّ هو مَنْ له الكمالُ المطلق .

" والحى " : هو الدائم البقاء ، الذى لا يلحقه موتٌ ولا فَنَاء ، ويتضمَّنُ ذلك وصفَهُ بكل مظاهر الحياة من : علمٍ وقدرة وإرادة .

و"القيوم " ، هو : القائم بأمور العالم وبتدبير الكون على أبلغ وجه وأكمله وهو وصفٌ صريح فى انه بيده ملكوت السموات والأرض ، ويتضَّمنُ ذلك افتقار كل ما عداه إليه ، وإذن فالأية الكريمة : " الله لا إله إلا هو الحى القيوم " .

قرَّرَتْ كل العقائد الواجبة فى حق الله من : وجودٍ ووحدانية ، وكمال مطلق ، وتدبير ، وتصرُّف .

* * *

" نَزَّلَ عليك الكتاب بالحق " .. هذا وصفٌ رابعٌ لله سبحانه وتعالى - وهو متفرعٌ عن

الوصف الثالث – لأن " القيوم " ، هو القائم بتدبير الكون على أتمّ وجوه التدبير ومن مقتضى هذا : ألا يترك الناس سُدًى من غير أن يرسل إليهم رسُلاً يدعونهم الى الهدى ، ومن غير أن يُنزِل عليهم كتباً بالحق الذى فيه هُداهم .

ولهدا قال سبحانه : " نَزّلَ عليك الكتاب بالحق " ، وتنزيل القرآن على الرسول بالحق مراد به معنيان : أحدهما أنه بالحق منزلٌ من عند الله ، وليس من أساطير الأولين، ولا هو من قول البشر .

وثانيهما : أن مانزل فيه هو الحق ، فكل مانزل فيه من : عقائد وتشريع وأخلاق وقصص هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهذان المعنيان المرادان من هذه الآية قد صُرِّحَ بهما فى قوله تعالى :

" وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ " ، ١٠٥ – الإسراء .

" مصدقاً لما بين يديه " ، ما بين يدى الإنسان هو : مُقَدَّمٌ عليه وسابقٌ له ولهذا يُقَابَلُ بما خَلْفهُ قال تعالى : " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " ، أى يعلم ما يحيط بهم، وما يَسْبِقُهُمْ وما يلحَقُهُم .

والمراد أن الله نزل على رسوله القرآن مصدقاً لما سبقهُ من الكتب السماوية التى أنزلت على رُسُلِ الله السابقين كتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وصحف إبراهيم وغيرها مما قصَّ الله على رسوله نبأه ومما لم يقْصُصْ عليه .

***

" وأنزل الفرقان " ، والفرقان : ما يفرق بين الحق والباطل ، ولذا سُمّيَ القرآن فرقاناً فى قوله تعالى : " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده " . ، ولكن ليس المراد ، بالفرقان هنا : القرآن ، لأن المعنى يكون مكرراً مع قوله تعالى قبل ذلك : " نزل عليك الكتاب بالحق " .

وإنما المراد بالفرقان هنا : ما يفرق بين الهدى والضلال من : عقولٍ ، وهَبَهَا الله

للناس ، وآيات كونية ، ودلائل أقامها ، ولفت العقول إلى النظر فيها لتهتدى .

فمعنى " أنزل الفرقان " ، مَنَّ على الناس بالعقول والآيات الكونية التى يتوصَّلُونَ بها الى الاهتداء بكتب الله . فقوله تعالى : " وأنزل الفرقان " ، مثل قوله تعالى : " وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ومنافعُ للناس " أى ومنح الفرقان ليتم على الناس نعمه .

***

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن الإيمان فقال :

" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " .

أو كما قال ، التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

***

الحمد لله ، وصلاة وسَلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فقد اتضح أن الله سبحانه وتعالى لم يترك الناس سُدًى . بل أرسل إليهم رُسُلَهُ ، وأنزل عليهم كتبه ، ومَنَحَهُم العقول وأقام لهم الدلائل التى يميز ون بها الحق من الباطل ؛ فقد سَنَّ لهم الهدى ، وهيأ لهم وسائل الاهتداء .

فما هو جزاء من جحدوا بهذه الآيات فلم ينظروا فيها ؟ أو نظروا فيها لا للاهتداء؟

ذلك هو قوله تعالى بعد ذلك : " ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذابٌ شديد " ، ثم وصف سبحانه نفسه بعد هذا الوعيد الشديد بثلاث صفاتٍ مناسبة فقال تعالى : " والله عزيز ذو انتقام إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء " ..

فالله سبحانه وتعالى لما توَعَّدَ الكافرين بالعذاب الشديد عقب هذا الوعيد بأنه وعيدٌ من : " عزيز " ، أى من " قَوِىٍ ذى سلطان .. العذاب الشديد فى قدرته ، والكافرون فى قبضته . وهو أيضاً وعيد من منتقم " ذو انتقام " ، يأخذ المذنب بنقمته وعقابه .

ثم عقّبَ هذا بأنه وعيد من " عليم" ، فقال جل شأنه : " إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وأقام دليلاً حسّياً على إحاطة علمه بكل شئ - وهو تصرُّفُهُ وتدبيره فى أخفى الأشياء وأبعد المواضع عن الحسّى - وهو الجنين فى رحم أمه- فهو سبحانه الذى يصَوّرُ كل جنين فى رحم أمه بالكيفية التى يشاؤها فقال جل شأنه :

" هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء " .

فمن يطلع على هذا الجنين : نُطفة .. فعلقة .. فمضغة ، ويصوّرُه - وهو فى هذا الخفاء - لا يخفى عليه شئ ، ولا يغربُ عن علمه :

كفرُ كافر ، ولا نفاقُ منافق ، ولا إيمان مؤمن .

ثم أكد هذا بقوله تعالى : " لا إله إلا هو العزيز الحكيم " .

***

هدانا الله ووفقنا .. وأعزّنا .. ونصرنا .. وهيأ لنا من أمراً رشداً .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

مقارنة بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة

" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
- ١٤-١٥ آل عمران .

" زين للناس حب الشهوات ، هذه الآية الكريمة لا تَدُلُّ على التزهيد فى متاع الدنيا الحلال ، بل هى تنَوِّهُ بشأن هذا المتاع ، وبما فطر الله عليه الناس من حبه لتصل بهذا إلى التنويه بشأن نعيم الآخرة ، والترغيب فيه ، لأنه ليس مثل ما تحبونه من متاع الدنيا ، بل هو خيرٌ منه .

فهو سبحانه وتعالى يذكر عباده بأنه أعَدَّ للمتقين منهم من النعيم مالو قارنوه بمتاع الدنيا لكان خيراً منه وأحقُ بحُبِّه والحرص عليه ، والعمل لنيْله .

وذلك أنه سبحانه بعد أن بين فى الآيات السابقة أن الذين كفروا لن تُغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، أوضح هنا أن هذه الأموال والأولاد وسائر ماتشتهون وتحبون من متاع الدنيا إذا قورن بنعيم الآخرة كان نعيم الآخرة خيراً منه ،فلا ينبغى أن يكون اغتراركم بمتاع الدنيا مفوّتاً عليكم الإيمان وصالح العمل وبها الوصول إلى الجنة ونعيم الآخرة .

***

ومعنى هذا أن الإنسان يستطيع ان يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة اذا لزم شرع الله وكما علمنا سبحانه وتعالى أن ندعوه : " رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ " . -٢٠١- البقرة .

ولفظ : " زُيِّنَ للناس " ، معناه : حَسَّنَ الله للناس وجَمَّلَ لهم و " الشهوات" ، هى المشتهيات ، والمعنى : حسَّن الله للناس حب ما يشتهون - فى حلال - من هذه الأنواع الستة التى هى : أصولُ متاع الدنيا وملاذها .

وقد ذكر الله الأنواع الستة التى أحَبَّها للناس وزيَّن لهم حُبَّها ليتم ما أراده من بقاء النوع الإنسانى على أكمل وجوه البقاء ، وتتنظم شئون الدنيا إلى الأجل الذى قدَّرهُ الله ، ولا حاجة إلى الإسهاب فى كل نوع من هذه الستة ، وتبيين أثر حبه فى نظام الكون ، وبقاء النوع .. فهذا أظهر من أن يحتاج إلى بيان .

ولولا ما فطر الله عليه الرجال من حب النساء ما تزوَّجُوا ولا تناسلوا ولا تبادلوا : الرحمة .. والمودة .. والسكن .. والاستقرار .

ولولا ما فطر الله عليه الآباء ، والأمهات من حب الأولاد ما عُنُوا بشأنهم ، ولا سهروا على راحتهم ، ولا كدُّوا لعيشهم وما احتملوا متاعبهم من بدء الحمل إلى أن يبلغوا أشدهم .

ولولا ما فطر الله عليه الناس من حب المال ما سعَواْ ولا عَمِلُوا ولا اخْترعُواْ ولا أنْتجُوا .. وكذلك حب الخيل المسَوَّمة أى المعَلَّمَة لأنها مظهر القوة والعزة ، وحُب الأنعام لأنها وسيلة الزرع والعَيْش ، " .

قال تعالى : " والأنعام خلقها لكم فيها دِفء ومنافعُ ومنها تأكلون" ، وكذلك "الحَرْث" ، أى الزروع والثمار .

فحبُّ كل واحد من هذه الستة أساس بناء الكون ونظامه ، وقد فطرَ الله الناس على حبها وزين لهم هذا الحب - فى حلال - ليعيشوا فى الدنيا عيشةً راضية .

ولهذا قال سبحانه وتعالى : " ذلك متاع الحياة الدنيا " ، أى مُتْعَةُ الناس وما يترفهوُن به فى الحياة الدنيا ، والله عنده حُسْنَ المَرْجِعِ والمآب .

ثم بين سبحانه الهدفَ الذى قصد إليه ومَهَّدَ له بذكر الدنْيَا بقوله بعد ذلك : " قلْ: أؤُنَبِّئكمُ بخير من ذلكم ؟ للذين اتقوا عند ربهم جناتٌ تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواجٌ مطهَّرَةٌ ورضوانٌ من الله ، والله بصيرٌ بالعباد " ،- ١٥ - آل عمران .

***

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة " .

أو كما قال : التائب حبيب الرحمن ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

***

أما بعد ، فإن الله سبحانه عندما قال : " قُلْ أؤُنبئكُم بخير من ذلِكُم جعل هذا الخير للمتقين من عباده فقال تعالى : " للذين اتقوا عند ربهم جنات " .

والتقوى التى أعد الله الجنة لأهلها - هى : اتخاذ الوقاية من عذاب الله وسخطه بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، وهى وصية الله عز وجل فى الأولين والآخرين قال تعالى :

" وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ " .

ولما كان أصل التقوى لله : الخوف منه سبحانه فقد وعَدَ عباده المتقين الأمْنَ عوَضاً مما أخافوا أنفسهم به من عقابه فقال تعالى : " إن المتقين فى مقامٍ أمين " .

وقال أيضاً :

" أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ " - ٤٠- فصلت وبذلك جاء الخبر فى الحديث القدسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله يقول :

" وعزتى وجلالى لا أجمعُ على عبدى خوفين ، ولا أجمعُ له أمْنَيْن ، فإذا خافنى

فى الدنيا أمَّنتهُ يوم القيامة ، وإذا أمننى فى الدنيا أخفتُهُ يوم القيامة " .

* * *

أيها الإخوة والأخوات ..

ان تقوى الله هى الدِّرْعُ الواقى من الخوف والحزَن يومَ الفَزع الأكبر وفى الحديث الشريف أن المنادى ينادى يوم القيامة : " ياعبادِ لا خَوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون.. فترفع الخلائق رءوسهم يقولون : نحن عباد الله عَزَّ وجل .

ثم ينادى الثانية : " الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين " ، فينكسُ الكفار رءوسهم ، ويبقى المؤمنون رافعى رءوسهم .

ثم ينادى الثالثة : " الذين آمنوا وكانوا يتقون : ، فينكس أهل الكبائر رءوسهم ، ويبقى أهل التقوى رافعى رءوسهم قد أزال الكريم عنهم الخوف والحزن لأنه أكرم الأكرمين ، لا يخذُلَ أولياءه ولا يُسْلمُهُمُ عند الهلكة " .

فلنذكر أيها الاخوة والأخوات ذلك الموقف العظيم بين يدى الله سبحانه وتعالى فى يوم آلى فيه على نفسه ألا يترك عبداً أمره فى الدنيا ونهاره حتى يسأله عن عمله فى سِره وعلانيته .

فأعدُّوا للسوال جوابا . وللجواب صوابا ، فإنه سبحانه وتعالى لا يصدّقُ إلا الصادقين ، ولا يكذب إلا الكاذبين .. وكما قال تعالى : قال الله : " هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ " - ١١٩- المائدة .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

" ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير "

" وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ - ١٠٤- آل عمران .

* * *

الإنسان اجتماعيٌ بطَبْعه ، أفرادُهُ لا يستغنى بعضُهُم عن بعض ، فهم يتبادلون المنافع ، ويتعاونون على المصالح ؛ وبهذا التعاون الضرورى للحياة يتحقق المجتمع الإنسانى .

والإسلام لم يَقِفْ فيما - فيما يُحَقِّقُ المجتمع الإنسانى - عند هذا الحدّ الطبيعى ، لكنه شَدَّ أَزْرَ الطبيعة الاجتماعية بما يقوّيها ، ويقيمُها من الأنحراف والانحلال فربط بين أفراد الإنسان برباط قلبى يوُحّدُ بينهم فى الاتجاه ، ويجعل منهم وحْدَةً قوية متماسكة هدفها : السعادة فى الدنيا والآخرة .

وهذا الرباط هو : رباط الإيمان والعقيدة ، المتصلة بمبدأ الخير والرحمة وهو : الله سبحانه وتعالى .

وقد اتخذ الإسلام عنواناً لهذا الرباط : " الأخوة الدينية "بين المسلمين فقال تعالى:
" إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ١٠- الحجرات .

* * *

والأخوّة أصدق تعبير عن الحقوق والواجبات الاجتماعية ، وهى أقوى ما يبعث فى النفوس معانى : التراحم والتعاطف والتعاون ، مما يحقّقُ للمجتمع المثالية التى تُخَلِّصهُ للخير ، وتبُعدُ به عن الشر " فالمسلم أخو المسلم " .

كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا يظلمهُ ولا يخذلُه ولا يَحْقِرُه ، بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كلُ المسلم على المسلم حرام : دمُهُ ومالُهُ وعِرضُه".

وقد سما الاسلام بهذه الأخوة الدينية عن مركز الأخوة النسبية ، فيها ائتلف المتخاصمون ، ونسيت العداوات ، وتبَوُدل العفو والصفح .

قال تعالى للأنصار أهل المدينة : " وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا " ،-١٠٣- آل عمران .

***

شعارٌ واحد للمؤمنين جميعاً - مهما تناءت الديار ، واختلفت الأجناس - هو : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً " .. ودعاءٌ واحد : " رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " - ١٠- الحشر .

وقد كان من مقتضيات هذه الأخُوَّة : " التضامن الاجتماعى بين المسلمين ، وهو: إيمان الأفراد بمسئولية بعضهم عن بعض ، فإذا ما أحسنوا كان إحسانهم لأنفسهم ولإخواتهم وإذا ماأساءوا كانت إساءتهم على أنفسهم وعلى إخوانهم .

ويصورُ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المسئولية تصويراً دقيقاً حين قال :

" مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها - أى مَثَلُ المحسن والمسُئ - كمثل قوم اسهمُوا على سفينة - أى اقترعوا فيما بينهم لتوزيع الأماكن على السفينة - فكان بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها .

فكان الذين فى أسفلها - إذا استقوا من الماء - مروا على مَنْ فوقّهم ، فقالوا : لو أنا خرقْنَا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَنْ فوقنا ؟!..

فإن تركوهم - وما أرادوا - هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجَوْا

جميعاً "

***

ذلك أن الذى يُسيئُ بحجة أنها : حريته الشخصية لا يُغْرِقُ نفسه فقط ، وإنما يُغرق مجتمعه معه بحكم أن الكُلّ فى سفينة واحدة ، فلأبُدَّ للمجتمع كى يعيش فى أمان واستقرار من " التضامن الاجتماعى " .

وهذا التضامن الاجتماعى – فيما يختص بالمسئولية الأدبية تُحقّقُهُ قوتَان :

أولا : قوةٌ تعرف الخير والفضيلة ، وتدعو إليها بصدق وإخلاص ، يشير اليها قوله تعالى : " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " – ١٠٤– آل عمران .

ثانيا : قوةٌ تسمع وتمتثل بقلوب مطمئنة أو صدور منشرحة ، وجوارح عاملة يشير إليها قوله تعالى :

" فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ١٧–١٨– الزمر .

***

وإذا ماعُدِمَتْ قوة الدعوة فى المجتمع ، أو انحرفتْ عن الخير ، وسلك الأفراد مَسْلَكَ الشخصية الكريهة ، والمصالح الخاصة المفسدة ، تفككت روابط المجتمع ، واندفع الى تلبية الأهواء ، وتعرض للهلاك والدمار .

وفى ذلك يقول الله تعالى : " لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " –٧٨–٧٩– المائدة .

***

وكذلك إذا عدمت قوةُ الاستماع ، وزعم كل إنسان لنفسه الكمال ، وأنه لا ينبغى أن يوجَّهَ إليه نُصْحٌ أو إرشاد ، وفى هذا يقول الله تعالى :

" وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ" – ٢٠٦- البقرة .

عن النبى صلى الله عليه وسلم إنه قال : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان " .

* * *

أما بعد ، فإننا إذا بحثنا عن عدم قوة الإرشاد فى المجتمع أو عدم قيامها بواجبها على الوجه المحقق للخير لوجدناه يرجع إلى :

عدم الشعور بالمسئولية الاجتماعية الملقاة على عاتق الأفراد بالنسبة للمجتمع أو الجهل بما يجب أن تكون عليه الدعوة والإرشاد من الحكمة والموعظة الحسنة أو فقدان الشجاعة الإيمانية فى مجابهة الناس بالحق .

وهذه الثلاثة من أقوى عوامل الفتك بالمجتمعات .

* * *

أما السبب فى عدم قوة الاستماع فهو شئٌ واحد هو : الغرور بالنفس والاطمئنان إليها فيما تراه ، ومن هنا ينصرف الناس الى الفساد وهم يعتقدون انه : صلاح ، وإلى الخطأ وهم يعتقدون أنه صواب .

وهكذا تنقلب الفضائل بالغرور إلى رذائل ؛ فينتاب المجتمع الضعف والانحلال .

* * *

هذا هو الوضع الإسلامى فى علاقة الأفراد بالمجتمع – فيما يختص بالمسئولية الأدبية – وقد آمن به المسلمون الأولون فأخلصوا فى الدعوة ، وأخلصوا فى الاستماع – وبذلك استقامت شئونهم وتقدمتْ حياتهم .

وإن مجتمعنا لا يعود إليه مجده إلا إذا طهّر نفسه من الذاتيه والغرور ، والاستهتار بالمسئولية ، وعاد إلى سنة الأولين ، فدعا وأخلص واستمع واتّبع ..

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ " ٢٤ – الأنفال .

***

هدانا الله .. ووفقنا .. وأعزنا .. نصرنا .. وهيأ لنا من أمرنا رشداً " .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا نحن مطالبون بتقوى الله ؟

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١ - النساء . "

* * *

هذه سورة" النساء " ، وهى السورة الرابعة فى النصف الأول من القرآن الكريم : أولها : " يأيها الناس اتقوا ربكم " ، وسورة " الحج " ، وهى السورة الرابعة فى النصف الثانى من القرآن الكريم أولها أيضاً يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ١- الحج .

علل سبحانه الأمر بالتقوى هنا بما يَدُلُّ على معرفة " المبدأ " ، وهو انه سبحانه خلق الخلق من نفسٍ واحدة .. وعُللَ الأمر بالتقوى فى سورة "الحج" ، بما يَدُلُّ على معرفة المرجع والمعادِ وهو قوله تعالى : " إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ " -١- الحج .

والخطاب فى قوله تعالى : " يأيها الناس اتقوا ربكم " ، للناس كافة ، لا للعرب خاصة .

" وتقوى الله " ، المراد منها : التَّوَقِّىَ من غضبه ، والحذر من عصيانه وتعَدِى حدوده ، وقد افتتح الله هذه السورة بأمر الناس بتقواه ، وكرَّرَ الأمر بالتقوى فى نفس الآية مرتين ، ووصف نفسه فى كل أمر منهما بوصفين ، فى كل وصف منها ما يحمل المخاطبين على تقوى الله ، وعلىٌ امتثال ما أمر به الوصف الأول أنه : ربُّ الناسَ أى مُرَبيهِمْ والكفيل برزقهم والمسْبِغُ عليهم نعمةً ظاهرةً وباطنة ، فهو مُربيهم ، مادياً بما

مهّدُ لهم من وسائل الحياة ، وما سخر لهم فى الأرض والسماء ، ومُربيهمْ : روُحياً بما أرسل إليهم من الرسل وما أنزل عليهم من الكتب .

ومن حقُ المربّي على من ربَّاهُ أن يشكر نعمتهُ ويتقى غضبه وعصيانه .

* * *

الوصف الثانى : أنه خلقهم من نفسٍ واحدة ، أى أنشأهم وأوجدهم من أصل واحد، لا من أصولٍ متعددة ، وفى هذا الوصف تنبيه إلى نعمة جليلة على الناس ، وهى انه سبحانه : سوّى بينهم فى الأصل ، لأنه لو خلق بعضهم من طين ، وبعضهم من نار ، وبعضهم من عنصر ثالث ماتآلفوا ولا تعاونوا ولا سكن بعضهم إلى بعض ، لأن الجنس إنما يألف جنسه .

* * *

وفى هذا الوصف أيضاً لفت العقول إلى آية من آيات قدرة الله ، وهى أنه خلق من أصل واحد هذه الشعوب الكثيرة المختلفة الألوان والألسنه والطباع والأشكال ، ففى تنبيه الله الناس إلى نعمه : وَحْدَةِ أصلهم ، ولفت عقولهم إلى كمال قدرته : حثٌ لهم على تقواه ، والحذر من عصيانه ، لأن المنعم يُشْكَرُ ولا يُخاَلَفُ أمره .. والقادر يُخْشى ويُتَّقَى غضبه .

* * *

ثم نعود لنسأل أنفسنا : ما المراد بالنفس الواحدة التى خلق الله الناس منها ؟ ذهب جمهور المفسّرين الى أن النفس الواحدة التى خلق الله الناس منها هى :

آدم عليه السلام ، وإلى أن زوجها التى خلقها الله منها هى السيدة حواء والمعنى أن الله سبحانه امتَنَّ على الناس بأنه فَرَّعَهُمْ من أب واحد وهو : آدم ، وبأنه خلق من هذا الأب زوجاً له هى : حواء ، وبأنه بث من هذين الزوجين - أى نشَرَ وفرّق منهما فى الدنيا .. رجَالاً كثيراً ونساءً بواسطة التناسل من هذين الزوجين وفروعهما .

وأيدوا ما ذهبوا إليه بالايات القرآنية التى فيها خطاب الناس بقوله تعالى : "يابنى آدم " ، وبما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم :

" أيها الناس .. كلكم لآدم وآدم من تراب .

* * *

أما بعد ، فإن الله سبحانه كرَّرَ أمْرَ الناس بتقواه فى هذه الآية : توكيداً وتثبيتاً وكما وصف نفسه فى الأمر الأول بوصفين ، وصف نفسه فى الأمر الثانى بوصفين :

وصف نفسه فى الأمر الأول بربوبيته ، وبأنه خلق الناس من أصل واحد ، ووصف نفسه فى الأمر الثانى بألوهيته ، وبأنه يتساءل الناس به أى يسأل بعضهم بعضا المعاونه باسمه وبالحلف به ، فيقول أحدهم للآخر : أسألك بالله أن تفعل كذا .

والوصف بالألوهية : وصفُ قَهْرٍ وإخضاع ، فهو ترهيب من عصيان العبد لمعبوده، والوصف بالتساول به : وصفُ تذكير وتنبيه إلى أن الآله الذى تلهجٌ به ألسنتكم فى التساؤل والحلف ، ليس غائباً عنكم ، ولا أنتم غافلون عنه . فمن الواجب عليكم - وأنتم تذكرونه - أن تتقوه .. " واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام " أى اتقوا الله واتقوا الأرحام .

ومعنى : اتقاء الأرحام أى القرابات : الحذر من قطعها ومراعاة القيام بما تقتضيه صِلَتُهاَ ، والأمر باتقاء الأرحام نتيجةً لما قبله من خلق الناس من أصل واحد ، لأن من ارتبطوا بوحدة أصلهم : جديرون ألا يقطعوا ما بينهم من الصِّلات ، وخاصة : الصلات القريبة من الأصول المباشرة .

* * *

إن الله كان عليكم رقيبا ، والرقيب هو : المراقب بدقة ، والله سبحانه وتعالى رقيب على عباده ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور " ، فمن لم يتقهْ لا يخفى عليه من أمره شئ .

بسم الله الرحمن الرحيم

رعاية الإسلام لليتامى

" وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا " ، -٩-١٠ النساء .

* * *

اليتيم : طفل من بين الأطفال ، قد فقد أباه والعائل الذى يرعاه ، فقد القلب الذى يحنو عليه ، والروح الذى كان يحوطه بعنايته ، فتقوى أعصابه وينمو جسمه ، وينشرح صدره ، وتبتسم له الحياة .

فقد بموت أبيه كل ذلك ، وأسلمته المقادير إلى الكآبة وتَشَتُّيت البال والحرمان فما أحوجه الى عناية من الرءوف الرحيم ، وما أحوجه إلى تشريع حكيم ، ووصية كريمة من رب كريم . تحفظ عليه نفسه ، وتحفظ له ماله وتعده رجلاً عاملاً فى الحياة ، ليس كلاً على غيره ، ولا عبئاً على أمته ، ولا عنصر شرٍ ينفثُ سمومه فى أمثاله من الأطفال .

* * *

لهذا عنى الإسلام : كتاباً وسُنَّةً بأمر اليتيم ، وقد ظهرت عناية القرآن الكريم بشأن اليتيم منذ أن نزل .. ظهرت فى مكيه حينما عاد الوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن فَتَر عنه مُدّة ظنّ فيها الرسول أن الله قد قَلاَهُ وأبْغَضهُ ، فَاجأهُ الوحى - وهو على هذه الحال - مؤكّداً له أن ربه ماودَّعَهُ وما قلاه ، وأخذ يذكره بعناية الله به فى طفولته - وهو أحوج ما يكون الى عطف الأبوه التى فقدها ولم يرَهَا ..

فيقول تعالى : " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ " ، - ٥- الضحى .

ثم يطلب منه الشكر على تلك النعمة ، على أن يكون شكرها من جنسها : عطفٌ على اليتيم ورحمةٌ به فيقول تعالى : " فأما اليتيم فلا تقهر " ،

* * *

وظهرت فى المكّىّ أيضا إذ جعل الله ازدراء اليتيم وإهمال أمره علامة من علامات التكذيب بيوم القيامة : قال تعالى : أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ -٢- الماعون .

* * *

وقد تأثَّرَتْ نفوس الصحابة رضوان الله عليهم بهذه الوصايا التى جاءت فى شأن اليتيم ، وصاروا من أمره فى حَرج وحَيْرَة :

أيتركون القيام عليه فيفسد أمره ؟ أم يقومون عليه ويعزلونه عن أبنائهم فى مأكله ومشربه فيشعر بالذله والمسكنة ؟ أم يخالطونه فيعرضوا أنفسهم لأكل شئ من ماله ؟ أم ماذا يفعلون ؟

التمست نفوسهم ماينقذهم من هذه الحيرة ، وهنا نزل قوله تعالى :

" وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ " ، - ٢٢٠- البقرة .

فأفهمهم أن المخالطة - مع العدل والإصلاح - من مقتضى ما بينهم من الأخوة الإنسانية والدينية والرحم .

* * *

ثم جاءت " سورة النساء " ، وبرزتْ فيها عنايةٌ خاصة باليتيم فى شأنه كله ومهدت لهذه العناية بطلب تقوى الله ، ومراعاة الأرحام ، وبيان أن الناس جميعاً خلقوا من نفسٍ واحدة .

فاليتيم - حتى وإن كان من غير اسرتكم - : أخوكم ورحمكُمُ فقدموا له بحق الأخوة والرحم ، واحفظوا أمواله ، وهذبوا نفسه ، واحذروا اغتيالها وأكلها ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا " -٢- النساء .

* * *

أما هذه الأم التى مات عنها زوجها وترك لها أيتاماً فتأيمت عليهم ، ونسيَتْ وسائل الزينة ومظاهر الجمال فى سبيل تربية الأيتام والمحافظة عليهم .

أما هذه السيدة فحسبها مكانه عند الله قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " أنا وامرأة سَعفَاءُ الخدين - أي متغيرة اللون - كهاتين يوم القيامة " وأشار بالسبابة والوسطى ، يريد أنها بجانبه لايفصل بينهما فى الجنة شئ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " خير بيت فى المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَنُ اليه ، وشرُّ بيت فى المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يساء إليه " .

* * *

أما بعد ، فهذا هو إرشاد الله ورسوله فى تهيئة اللّبنات التى تشترك فى بناء المجتمع الإسلامى ، فيأيها الاوصياء : كونوا فى الإشراف على اليتامى فى حذر من غضب الله .

واذا كان شرُّ بيت - كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم - بيتُ فيه يتيمٌ يسَاءَ إليه فإن الأمة بيت كبير ، فشرُّ أمة أمةٌ فيها يتامى يساء إليهم فيهمل أمرهم وتفسد أخلاقهم وتنقطع صلاتهم بخالقهم ويكونون لبنات هزيلة فى بناء الأمة ، فتسقط من عليائها ، وتصبح أثراً بعد عَيْن .

* * *

إن الدَهْرَ قُلّب .. والناس فى سفينة تتقاذفها أمواج الحياة ، ترفقها تارة وتخفضها أخرى ، ولا عاصم إلا مَنْ رَحِمَ الله ، ولا يرحمُ الله إلا مَنْ امتثل أمره ، واتبع هداه .

فمن كان تحت يده يتيم فليذكُر غَيْرة الله على اليتيم وليذكر أن مانزل بغيره فترك أولاده ايتاماً قد ينزل به فيترك أولاده - هو الآخر - أيتاماً ،، قال تعالى :

" وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا " - ٩-١٠- النساء .

***

حَسْبُ من كفل اليتيم ورعاه وقام بوصايا الله فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" من عَالَ ثلاثةً من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراً سيفه فى سبيل الله ، وكنت أنا وهو فى الجنة إخواناً كما أن هاتين أحتمان " . وأشار بالسبابة والوسطى .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

"وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب "

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ " - ١٨٦- البقرة .

* * *

نعمة جليلة من نعم الله علينا ، ولفتةٌ كريمة منه سبحانه وتعالى إلى أعماق نفوسنا وخفايا سرائرنا ، تُصوِّرها عبارات شفافة تكاد تُنير : " وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، لم يَقُلْ : فقل لهم أنى قريب إنما تولىّ بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال : " فأنى قريب ".. ولم يقل أسمع الدعاء ، إنما عجَّلَ بإجابة الدعاء : " أجيب دعوة الداع إذا دعانِ " .

إنها آيةٌ رقيقة تسْكُبُ فى قلب المؤمن الرضى المطمئنّ ، والثقة .. واليقين .. وتُشْعرهُ بقُرْبه من الله ..

وفى ظل هذا القُرْب الودود ، وهذه الاستجابة الكريمة يُوَجهُ الله عباده إلى الاستجابة له والإيمان به ، لعلَّ هذا أن يقُودَهُم إلى الرشد والهداية :

" فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون " ، فالثمرة الأخيرة من استجابتهم لله وإيمانهم به انما هى لهم كذلك ، وهى الرشد .. والهدى .. والصلاح .. فالله غنى عن العالمين .

* * *

على أنَّ استجابةَ الله لعباده مرْجُوَّةٌ حين يستجيبون هم له ويرشُدُون قال تعالى :

" ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ " -٥٥- الأعراف . وكلُّ مُصرّ على كبيرة فهو مُعْتَدٍ ،وقد أخبر سبحانه أنه لا يحب المعتدين ؛فكيف يستجيب لهم ؟.

ومن هنا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

" الرجل يطيلُ السَّفَر ، أشْعَثَ أغبَر ، يَمُدُّ يَدَهَ إلى السماء : يارب .. يارب .. ومطعمُهُ حرام ، ومشربُهْ حرام ، وملبسُه حرام ، وغُذى بالحرام ؛ فأنّى يُستجاب لذلك ؟.

فهذا استفهامٌ منه صلى الله عليه وسلم على جَهة الاستبعاد من أن يقبل اللهُ دعاء مَنْ هذه صفته .

***

ذلك أن اجابَةَ الدعاء لابُدَّ لها من شروط فى الداعِي .. وفى الشئ المدْعُوِ به: فمن شروط الداعى :

١ - أن يكون مؤمناً بأنّهُ لاقادرَ على قضاء حاجته إلا الله ، وأن الوسائط فى قبضته ومسخرة بتسخيره .

٢ - وأن يدعو بنية صادقة ، وحْضُورِ قلب ، فإن الله لا يستجيبُ دعاء من قلب غافل لاه .

٣ - وأن يكون مجتنباً لأكل الحرام .

ومن شروط المدْعُوّ به أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفِعْلِ شرعاً فلا يدعو بإثم ولاقطيعة رحم ، والا فإن الدعاء يكون بعيداً عن الاجابة .

***

قيل لإبراهيم بن أدهم : مابالنا ندعو فلا يُستجابُ لنا ؟ قال :

لأ نكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سُنَّتَه ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم نِعَمَ الله فلم تؤَدّوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ، ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم أمواتكم فلم تعتبروا وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس .

* * *

على أنه إذا أراد المؤمن أن يكون فى كنَف الله ورعايته فعليه ألا يَنْسَى الله فى السراء ثم يجأر بالشكوى والدعاء فى الضراء فيدخل بذلك تحت قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ١٢ يونس .

ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى :

" تَعَرَّفْ إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة " .

* * *

أما بعد ، فقد يكون الإنسان صالحاً مع ذلك يَدْعُو فلا يُسْتَجَابُ له أحياناً ، ويَرْجِعُ ذلك إلى أن الله سبحانه وتعالى بالنسبة للداعى :

إما أن يظهر الإجابة فى الدنيا ، وإما أن يُكفرَ عنه ، وإما أن يَدَّخِرَ له فى الآخرة، كما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ما مِنْ مَسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثْمٌ ولا قطيعةُ رَحِم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث :

إما أن يعجل له دعوته ، وإما أن يَدَّخِرَ له ، وإما أن يَكُفَّ عنه من السوء بمثلها " .

ومن هنا وَرَدَ أنه يجب على الداعى ألاَّ يَمَلَّ الدعاء لأن ذلك يُعْتَبَرُ من باب القُنُوط

وضعف اليقين والسّخط .

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

" لا يزال يستجاب للعبد مالم يدْعُ بإثمٍ أو قطيعة رَحِم مالم يَسْتَعَجل ، قيل : يا رسول الله وما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دَعوتُ . . . . . فلم أرَ يُسْتَجَابُ لى ، فيستحسرُ عند ذلك ويَدَعُ الدعاء ، أى ينقطع عن الدعاء ويملّ ، فيقع بذلك فى خطأ كبير .

* * *

فالمؤمن الحق يجب عليه أن يجتهد فى الدعاء ، وأن يكون على رجاءٍ من الإجابة ، ولا يقنط من رحمة الله ، لأنه يدعو كريماً .

يقول البنى صلى الله عليه وسلم :

" إن الله تعالى ليستحْى أن يَبْسُط العبُد إليه يَدَيْه يسأله فيهما خيراً فَيَرُدُّهما خَائِبَيْن " .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

" واتل عليهم نبأ ابنى آدم " .. قابيل .. وهابيل

" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

- ٢٧ ، ٣٢ المائدة .

* * *

نزلت هذه القصة فى سورة المائدة فى سياق الكلام عن أهل الكتاب وشأنهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، لتبين لنا أن الحسد : عريقٌ فى الآدميين ، وأثرٌ من آثار سَلَفِهم ، وغريزة طبعوا عليها من منشأ خَلْقِهم ، وأنه كان - ولا يزال منبع الشرور والآثام ، وأنه ما انطوى عليه قلبٌ الاطمس فيه عين البصيرة والاعتبار ، وأزاغه عن الهدى ، وأوْرَدَ صاحبه موارد الدمار .

* * *

فالحسد هو الذى أوْغَرَ صدْرَ أحد الأخَوَيْن على أخيه من ابنى آدم عليه السلام لما رأى مِنْ فضل أخيه عليه بتقبَل قربانه دونه ، فأقسَمَ ليقتلنه إوراءً لغليل نفسه الخبيثة الآثمة ، فخضَب وجه الأرض بدماء أخيه التى أريقت على مذبح الشر والعدوان .

" قال لأقتلنك " ، فردّ عليه أخوه بقوله : " إنما يَتَقَبَّلُ الله من المتقين " ، وكأنه يقول له : ياأخى إنى لم أذْنبْ فى حقك ذنباً تقتلنى به ، فإن كان الله لم يَتَقَبّلْ منك فارجع الى نفسك فحاسبها على إخلاصها لله فيما قَرّبْتْ ، وعلى صدور قربانك بدافع التقوى ؛ فأتق الله ثم قربْ اليه قربانك يَتَقَبَّلْهُ منك .

وبعد أن بين له هذه الحقيقة وهى " وجوبُ تقوى الله ، والإخلاص فى التقرُّب إليه بين له ما يجبُ على الإخوة من احترام دماءِ بعضهم بعضاً وحفظ أنفسهم فقال : " لئن بَسَطْتَ إلىَّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسطٍ يدىَ إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين .

وفى جواب هذا الأخ البار التقى أبلغ الموعظة ، وألطف الاستعطاف لأخيه العازم على الجناية .

ولما كان مثل هذا الوعظ البليغ لا يؤثّرُ فى كل نفسٍ خصوصاً نفسُ الحسود الذى أعماه الحسد ، فدفعه الى البغى ذكرَهُ بعذابِ الآخرة عَلّهُ يؤثرُ فيه التذكير فقال :

" إنى أريد أن تبوءَ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار " .

أى لا أقابل جنايتك بمثلها فى سبيل الدفاع عن النفس لأنى أريد ان ترجعأنت بإثم قتلى- أن فعلت - مع إثمك الذى دفعك إليه - وهو الحسد - فتكون بما حملت من الاثمين من أهل النار " وذلك جزاء الظالمين " .

***

هل أثَّرَ ذلك الوعظُ البليغ ، وذلك التذكير بالعذاب الأليم فى نفس ذلك الظالم الأثيم ؟ هل فجرّ ينبوع الخشية من الله فى نفسه فصرفهُ : عن اعتدائه وبَغْيه ؟ كلا .. فقد كان قلبه متحجراً وإحساسه ميتاً ، وكان بركان الحسَدَ يضطرم فى قلبه ، فدفعهُ إلى قتل أخيه البرئ ، وفى ذلك يقول الله تعالى :

" فطوعَت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فاصبح من الخاسرين " .

* * *

كان هذا أول قتلٍ وقَعَ من بنى آدم فى وقتٍ كان الإنسان فيه فى غاية السذاجة لا يعرف من شئونه إلا ما تهديه إليه التجربة : فلم يعرف القاتل الأول : كيف يوارى سوءة أخيه - أى جثته التى يسوؤه منظرها - وما أفظع رؤية القاتل لآثار جريمته فى المقتول ، ولم يهتدِ إلى وسيلة ليدارى بها تلك الجثة التى تمثلُ الجريمة لعينيه بمنظر بَشِعٍ مُرَعَب .

" فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض " ، يحفرها بَرجَليه ، وذلك المجرم ينظر إليه ، ففطن إلى طريقة مواراة الجثة ، ولكنه تعجَّبَ ! كيف لم يهتدِ إلى هذه الطريقة مِثْلَ الغراب ؟ ، ولهذا قال : " يا وليتى .. أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارِىَ سوءةَ أخى فأصبح من النادمين " .

وهنا لابد أن تهبط رحمةُ الله : رعايةً لحق تلك الجثة الطاهرة ، وسنناً لدستور الخليقة ، وإبقاءً على كرامة آدم وولديه ! وهنا كذلك لابد أن يكون دروسٌ يتلقاهُ ذلك الغِرُّ الأحمق - وما هو بأهل لوحْى الله ، ولا لإلهام الله - بل لابُدَّ أن يكون تلميذاً لغراب يتضاءل فهمُه أمَّام حنكة ذلك الطائر المنبوذ ، وتفنى شخصيته بعد ذلك الدرس المؤلم الذى يتلقاهُ ذليلاً صغير النفس مُعَذَّبَ الفؤاد ،

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :، " لا يجتمع فى قلب عبدٍ : الإيمانُ والحسد " .

أما بعد ، فمن أجل ذلك القتل – الذى دلّ على أن البشر عُرْضَةٌ للبغى الشديد مالم يردعهم وعيدٌ شديد أو عقاب صارم – شرع الله القصاص لحقن الدماء ، وبين أن اعتداء فردٍ على غيره كأنه اعتداء على كل أفراد المجموع ، لتكافل الجميع ، وارتباطهم فى مصالحهم ، وأن الكف عن العدوان كأنه إحياءٌ للجميع .

***

قرّر ذلك فى شريعة موسى عليه السلام ، ثم فى شريعة الإسلام التى هى دين البشرية العام .

ذلك ما ترمى اليه القصة ، وهى من جهة أخرى تدلنا على أنه حتى عاطفة الأخوة لا تقوى على مدافعة الحسد – إذا طغى على النفس – ولا على مقاومة البغى .

وأنه ليس هناك وسيلة لكفّ عدوان المجرمين الا علاج النفوس – بصفة عامة – بتعاليم الدين ، فهو أنجح وسيلة فى مكافحة الانحراف والشرور والآثام .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

" نظرة الإسلام إلى الأموال "

" وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

-٣٩-٤٠ النساء .

ليس هناك شكّ فى أن كُلّ ما تتوقّفُ عليه الحياة : فى أصلها .. وكمالها . وسعادتها من : علمٍ وصحةٍ .. وقُوّةٍ .. واتساعِ عمران لا سبيل إليه إلا بالمال ؛ وقد نظر القرآن الكريم الى الأموال هذه النظرة الواقعية فوصفها بأنها : قيامٌ للناس .

قال تعالى : " وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا " -٥- النساء ، وقيام الشئ وقَوامُهُ : ما به يحفظ ويستقيم .

والمال - كما ترى - عَصَبُ الحياة ، وقِوامَ المعاش ، والمصالح الخاصة ، والعامة .

***

ومن هنا أمر الإسلام بتحصيل الأموال من طُرُقٍ فيها الخير للناس ، فيها النشاط والعمل ، فيها الاختلاط .. والتعارف .. والتعاون .. والمبادلة .

أمر بتحصيلها عن طريق التجارة والرِّحْلة قال تعالى : " لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ ١ - ٢- قريش

وأمر بتحصيلها عن طريق الزراعة - التى بها حياة الأرض - قال تعالى :

" فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً

وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾-٢٤-٣٢ عبس وأمر بتحصيلها عن طريق الصناعة - والصناعة أقوى العُمُد التى تقوم عليها الحضارات .

قال تعالى : " وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ -٢٥- الحديد .

***

والقرآن الكريم - كما طلب السعى فى تحصيل الأموال عن هذه الطرق المشروعة - نهى عن تحصيلها بالطرق التى لا خير فيها للناس " وفيها الشرُّ والفساد " .

نهى عن تحصيلها بطريق الربّا ، الذى يؤخذ استغلالاً لحاجة الضعيف ، وبطريق السرقة - التى تزعزع الأمن والاستقرار - وبطريق التجارة فيما يفسد العقل والصحة كالخمر والمخدرات ، وبطريق القمار وبيع الأعراض - من كل ما يفسد الأخلاق ، ويعبث بالإنسانية - وبطريق الرشوة - التى تذهب بالحقوق والكفايات .. وفى هذا وأمثاله يقول الله تعالى :

" وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ -١٨٨ - البقرة .

***

ونظراً إلى أنه فائدة المال نَعُمُّ المجتمع كله أضافَهُ اللهُ الى نفسه تنويهاً بشأنه وجعل المالكين له مستخلفين فى حفظه وتنميته وإنفاقه بما رسم لهم فى ذلك فقال تعالى :

وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ، - ٣٣ - النور . وقال تعالى :

"ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ " -٧- الحديد .

فالمال - وإن رُبِطَ باسم شخصٍ مُعَيَّن - هو لجميع عباد الله ، يحافظ عليه الجميع وينتفع به الجميع .

وتحقيقا لإنتفاع الجميع بالأموال حارب الإسلام فى المالكين لها والقائمين عليها خُلقَ الشُحَّ الذى يمنع من البذل والانفاق فقال تعالى :

" وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ - التغابن .

كما حارب أيضاً : التبذير فى الأموال وإضاعتها فيما لا يعود بخير على الأمة فقال تعالى : " وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا " -٢٦-٢٧- الإسراء .

ثم أرشد الى الطريق السُّوىّ ، فقال فى وصف عباده المقربين : وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا " .-٦٧- الفرقان .

***

وقرر كذلك أن التّرَف - وهو المبالغة فى الكماليات والفخفخة - منْبَعُ شرَّ يملأ قلوب الفقراء حقْداً وضغينة ، ويصلُ بأصحابه الى جحود الحق وإنكار الشرائع قال تعالى :

" وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ " -٣٤- سباء .

***

وكما اتجه الإسلام بهذه الإرشادات الى الأفراد : تحذيراً لهم من آفات الشح والتبذير والترف فإنه يجعل من حق الحاكم - بالنسبة لمن لم يخضع لهذه الإرشادات - أن يأخذ منهم بطريق القهر ما وضعهُ الله فى أموالهم من حقوق الأفراد والجماعة .

***

وقد وصَلَ الأمر فى تطبيق هذا المبدأ أن قاتل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه جماعة الذين تكتّلوا فى منع الزكاة حتى خضعوا فيها لحكم الله ، وبذلك استقام الأمر .

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

" إن الله عز وجل يقبل الصدقات يأخذها بيمينه فَيُرَبِّيهَا لأحدكم كما يُربِّى احدكم

مهْره حتى ان اللقمه لتصير مثل جبل أحد " .

وقال رجل : يا رسول الله .. أرأيت إن أدى الرجل زكاة ماله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " من أدى زكاة ماله ذهب عنه شرُّه " .

* * *

الحمد لله .. وصلاة وسلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعد .

فقد رسم الإسلام طريق الحياة القويمة للمجتمع المثالى الفاضل إذا أقامه على مبدأ التضامن الإجتماعى " .

وفى سبيل التضامن : استأصل القرآن الكريم مِنْ نفوس أصحاب الأموال صفات الشح .. والإسراف .. والترَّفْ .

* * *

وكان للقرآن الكريم - بعد ذلك - من أساليب الترغيب فى الانفاق ، والترهيب من البخل : ما يملأ قلب المؤمن بمبدأ التضحية ، وأنها سبيل الله فى بناء المجتمع بناءً يكفل للإنسانية سعادة الأولى والآخرة .

إننا لانكاد نجد فى القرآن الكريم ذِكْراً للإيمان بالله إلا مقروناً بالإنفاق فى سبيل الله قال تعالى :

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ البقرة .

وقال أيضا : " وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ " .

وهذا أسلوبٌ يضع الانفاق فى سبيل الله فى مستوى الإيمان -٣٩- النساء .

* * *

ونحن إذا قلبنا صفحات القرآن لم نجده أطلق عنوان : " العَقَبَة " ، التى تحولُ بين الإنسان وسعادته على شئ سوى إطعام الفقير والمسكين قال تعالى : " فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ١١ - ١٦ - البلد .

وهذا أسلوبٌ يضع الانفاق فى سبيل الله وإطعام الفقير موضع العقبة والحاجز الذى لابد من اجتيازه ليصل الإنسان الى سعادته إن لم يكن بنفسه فبحُثِ القادرين عليه وإرشادهم إليه .

* * *

وسيُسجَلُ المجرمون على أنفسهم إهمال حق الفقير حين يُسألون يوم القيامة قال تعالى :

" مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ "

٤٢، -٤٣-٤٤- المدثر .

فهل لنا أن نقرر أن الإسلام لا يُقَيمُ وَزناً لشئ من تكاليفه مالم تغرس فى قلب المسلم عاطفة الرحمة ، مبعث الانفاق والبذل والعطاء نعم .. هذا ما نعتقده ، وهو ما يدلُ عليه القرآن الكريم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً

" إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ " -٩٦-٩٧ ال عمران .

***

الحج لغةً : القصدُ إلى مُعَظّم ، وشرعاً " قصد مكة المكرمة لأداء عبادة الطواف والسعى والوقوف بعرفةَ وسائر المناسك : استجابةً لأمر الله وابتغاء مرضاته يقول الإمام الفخر الرازى فى تفسيره :

لقد كان الآمر ببناء الكعبة : اللهُ جلَّ جلاله ، والمهندس : جبريل عليه السلام والبانى إبراهيم عليه السلام ، ومساعده : إسماعيل عليه السلام .. فما أشرفَهُ من بناء .

وتمَّ البناء .. وصدر الأمر لإبراهيم أن يُؤذّن فى الناس بالحج ، ولكن أين هم الناس من ذلك المكان القفْر البعيد ؟ قال إبراهيم عليه السلام : يارب أرفع صوتى بالأذان ومن يسمع : فقال جلَّ من قائل : يا إبراهيم .. عليك الأذان .. وعلىَّ البلاغ .

***

ولا يزال الناس من يومها يسمعون بلاغ ربهم ، فيتركون الأهل والدار ، ويطرحون زينة الحياة ، ويلبسون الرداء والإزار : قاصدين بيت الله الحرام وقد امتلأت القلوب بحَبَ الله ، وانطلقت الحناجر هاتفةً بذكره .

وقد رغّبَ الإسلام فى أداء هذه الفريضة ، فاعتبرها من أفضل مُكَفَرَات الذنوب فقال صلي الله عليه وسلم : مَنْ حجَّ فلم يَرْفُثْ ولم يفسُق رجَع كيوم ولدتهُ أمه " .

وكيف لا ؟ والحجاج – كما يقول صلى الله عليه وسلم – هم وَفْدُ الله ، إن دَعَوهُ اجابهُم ، وإن استغفروه غفَر لهم " .

لا غرابة إذن إذ تحدَث الرسول صلى الله عليه وسلم عن البيت وضيوفه فقال : " هذا البيت دعامة الإسلام ، فمن خرج بقصدُ هذا البيت من : حاجَ أو معتمر كان مضموناً على الله إن قبضهُ أن يُدْخِلهُ الجنة ، وإ ن ردَه ردَهُ باجرٍ وغنيمة " .

وأىُّ أجر وأى غنيمة أفضل من تلك التى يتحدث عن بعضها الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : النّفقَةُ فى الحج كالنفقة فى سبيل الله : الدرهم بسبعمائة ضِعَف " .

***

إن الحجَّ لونٌ من الوان التدريب العَملِىَ على مجاهدة النفس من أجل الوصول بها إلى الكمال الإنسانى – وعندما جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يعتذر إليه بضعف صِحّته قال له : " هلُمَّ إلى جهادٍ لا شوكَةَ فيه : الحج " .

فقد اعتبر الحج جهاداً من نوع آخر لا يحتاج إلى القوة الجسمية التى يستَوْجبُها الجهاد فى سبيل الله .. وقد أوضح هذا المعنى فى حديث آخر بقوله :

" جهاد الكبير والضعيف والمرأة " الحج " .

ومن مظاهر جهاد النفس فى الحج ذلك الانْدِمَاجُ فى الحياة الروحيَّة الخالصة التى تمتلئ فيها القلوبُ بِحُبَ الله ، وتنطلق الحناجر هاتفةً بذكره فى نشيدٍ عُلْوِيٍ خالص لله لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمدَ والنعمة لك والملكْ لاشريك لك "

.بينما يرتدى الحجاج ملابس خالية من الزينة ، ومن كل ما يثيرُ فى النفس دواعىَ العُجْب والخيلاء ، يقول تعالى :

" ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ " -١٩٧- البقرة .

* * *

ومن ذلك يتضحُ أنَّ من يدخل فى أعمال الحج يجب عليه أن يعيش فى جَوّ مِنَ الأدب العالى ، فلا يتدلّى إلى : رفث أى جماع ، ولا بميل الى فسوق أىَّ معصية ، ولا ينطق بكلمة طائشة ؛ فهو لا يفعل إلا الخير .

* * *

على أن شعائر الحج تثير فى النفس ذكريات عذاب ، إذ أنها ترتَبطُ بالواقع التاريخى لأبى الأنبياء : إبراهيم ، وخاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والحج يلقى على هذه الذكريات من الظلال والألوان ما يجعلها شاخصة فى العيون ، وماثلةٌ فى الأذهان .

إن إبراهيم هو الذى رفع قواعد هذا البيت وإسماعيل ، وهو أول بيت وُضع لعبادة الله فى الأرض ، ومن ثمَّ أمر المسلمون أن يتجهوا إليه كلما توجهواُ إلى الله فى صلاتهم ، وأن يتلاقوا عنده كل عام يحدُوهم الحب فى الله ، ليعْلنوا تضامُنَهَمْ واتفاقهم على إقامة شريعة الله الواحد .

ولقدَ جَاشَتْ نفسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانفعَلَتْ ، بهذه الذكريات فبكى وهو يقبل الحجر الأسود وقال :

يا عمر .. هنا تُسْكبُ العبرات " .

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة " .

أما بعد ، فإنه - على الرغم من أن الحج فريضة - الا أنه يشْتَرَطُ لوجوب أداء هذه الفريضة : الاستطاعة قال تعالى :

" وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . - ٩٧- آل عمران .

وتتحقق الاستطاعة ا بصحة الجسم ، وبملكية الزاد .. والراحلة .

والمعتبر فى الزاد : أن يملك الإنسان ما يكفية ويكفى من يعوله : من مطعم وملبس ومسكن وغيره حتى يؤدى الفريضة ويعود .

والمعتبر فى الراحلة : قُدْرتهُ على الذهاب والعودة سواء كان ذلك عن طريق البّر.. أو البحر .. أو الجو .

* * *

فلو وجد ما يكفيه للحج وهو محتاج إليه لِدَيْنٍ عليه لم يلزمه أداءَ الحج ، سواءٌ كان الدين : حالاً أم مُؤجلا .

وإن تَوَفَرَ لديه ما يكفيه ، للحج لكنه يحتاج إلى الزواج - وهو يخاف الوقوع فى فاحشة - قدَمَ الزواج على الحج .

وكذلك الحال فيمن لديه ما يكفيه للحج لكنه محتاج اليه فى تربية أبنائه وتعليمهم أو تزويج ابنته أو غير ذلك من لوازمه الضرورية ،كل ذلك يجعله فى حيز غير المستطاع..

* * *

كما أنه لا داعى للاستِدَانَةِ من أجل الحج فعن عبد الله بن أبى أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج أيستقرِضُ للحج ؟ قال : لا " .

* * *

أيها الإخوة والأخوات ،ما أحوجَنَا إلى تدبُّر هذه المعانى حتى لا يَهْمِلَ مستطيع أداء هذه الفريضة العظيمة .. وحتى لا يكلف عاجزْ نفسه وأسرته مالا طاقة لهم به من أجل حجة لم يلزمْهُ أداؤها ، أو من أجل أكثر من حجة مع أنه يعلم أن الحج فرض مرةً واحدة فى العمر .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

"فى ذكرى المولد النبوى الشريف "

" لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤ - آل عمران .

***

فى شهر ربيع الأول من عام ٥٧١ لميلاد المسيح عليه السلام وُلِدَ محمد صلى الله عليه وسلم من أبوين كريمين ، يتصل نسبهما بنبى الله إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليهما السلام ، فتولاَّهُ الله برعايته : وجَدَهُ يتيماً فآواه ، وعائلاً فأغناه ، وضالاً حائراً فهَدَاه .

ومازال يغمره بفضله وإحسانه حتى بلغ أشُدَّهُ واستوى فى أفُقِ الإنسانية الأعلى ، وتهيَّئاً لتحمُّل الرسالة العامة التي خُتمتْ بها رسالات الحق الى الخلق ، فأرسله بدين التوحيد ومكَارم الأخلاق : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ٣- المدثر

***

فقام عليه السلام يدعو الناس إلى الدخول فى دين الله بالحجة والبرهان ، وقد استعذب فى سبيل ذلك كل تضحية ، واحتمل من معارضيه كل شدَّة ، حتى أقرَّ اللهُ عينه بثمرة جهاده ، وأنزل عليه فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من الهجرة : " ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا - المائدة .

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى يحتفل المسلمون فى هذا الشهر من كل عام بذكرى ميلاده لجلال تلك الذكرى ، وعظمة صاحبها صلى الله عليه وسلم .

ونحن اذا تحدثنا عن عظمة محمد صلى الله عليه وسلم نحبُّ أن نشير أولا الى أنَ كثيراً من الأقلام حتى تلك التى لم تؤمن برسالة محمد قد تحدثتُ عنه حديثا فيه اعظام وتبجيل لشخصه ولإنسانيته ولعبقريته مما قد يُقصَدُ به : صرفُ الأنظار عما اختُصّ به من : النبوة والرسالة التى ارتفع بها محمد صلى الله عليه وسلم فوق السُّمُو الإنسانى ، والكمال البشرى .

فنحن إذا قلنا عن محمد صلى الله عليه وسلم : إنه عبقرى أو مُصلح أو بَطَل ، نريد أن نضعه فى مكانه من الكمال الوجودى فى واقع الحياة كنا مُجْحفين بالحقيقة العُليا وهى : حقيقة النبوة والرسالة التى يمتاز بها محمد صلى الله عليه وسلم عن سائر الكملة من بنى الإنسان .

* * *

فَعَظَمَةُ محمد صلى الله عليه وسلم التى نتحدث عنها فى ذكرى مولده هى العظمة النابعة من : نبوته ورسالته .

عظمة الرحمة والعطف : " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ، عظمة الهداية والإرشاد : "وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ -٥٢- الشورى .

عظمة التعمير والسلم : " وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ -٦١-الأنفال .

العظمة التى تهئ للحياة الفاضلة عدتها وتمهدُ لها سُبلها : " إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ، -٩٠- النحل .

العظمة التى تتمثل فى تلك التعاليم السامية التى نزل بها الروح الأمين على قلب

محمد صلى الله عليه وسلم : " وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ -١٩٤ الشعراء .

* * *

تتمثل فى تلك التعاليم التى جاءت على قوم تَمكَّنتْ فيهم عوامل الفساد وحُرِفتْ الشرائع فيما بينهم ، وعبدوا غير الله ، ونسوا يوم البعث والجزاء ، وتحكمَ قويُهم فى ضعيفهم ؛ وانْحَلَتْ أخلاقهم ، وهانت دماؤهم حتى مَادَ العالَم ، واضطربَتْ أركانه ، وتَزَعْزَعَتْ عناصر الحياة فيه .

وما هى إلا عشيَةً أو ضحاها حتى ملأ الإيمان قلوبهم ، فَجَمَّعَ بين القبائل المبُعْثَرة ، وأزال من خشونتها ، وهدأً من غَلَوائها ، وكوَّن منها أمة مَهيبَة الجانب ، عزيزة المنال ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

* * *

فإذا احتفل المسلمون هذه الأيام فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى ميلاد منقذ الإنسانية من ظلمات الجهل والوثنية والاستبداد ومحرِّر البشرية من رقِّ الفساد ، وعبودية الغرائز والشهوات : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

فإنما يحتفلون فى الحقيقة بذكرى نقطة التحوُّل فى تاريخ البشرية ، بل بذكرى ميلاد الإنسانية ميلادا جديداً .

* * *

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم : إسماعيل . واصطفى من ولد إسماعيل : بنى كنانه ، واصطفى من بنى كنانه : قريشاً ، واصطفى من قريش : بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم " .

أما بعد ، فقد طلع على الدنيا نَجْمُ محمد صلى الله عليه وسلم والعالَمُ يفيض

بالدنس والرذيلة ، فالإنسان ملطخٌ بأوحال الخمر والميسر ، والفاحشة والطغيان ، والمكان ملطخٌ بالأوثان والأصنام ، ومعانى الحلال قد ضاعت أمام جموح الشهوات وانطلاق الرغبات .

فلا يكاد الناس يدركون فرقاً بين الحلال والحرام .

***

فجاء محمد صلى الله عليه وسلم يقوم بحملة التطهير الكبرى فى هذه الحياة ، ويَرُدَّ معانى الطهارة والفضيلة إلى مكانها من الحياة والأحياء .

وكان لابُدَّ فى ذلك من أن يعدَّهُ مولاه لتلك المهمة خير إعداد ، فيصنعه على عينه، ويجملَهَ بكل خُلقٍ كريم :

" ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ " ، - ١٢٤ - الأنعام .

لذلك نراه جَل شأنه قد كتب الطهارة لنفسه فى أصوله ونسبه ، وفى طفولته ونشأته ، فقضى سنواته الأولى بعيداً عن مكة .. فى الصحراء فى بادية بنى سعد ، حيث البساطة فى الحياة ، والصفاء فى الفطرة

***

وجاءت مرحلة الشباب فلم يشرب خمراً ، ولم يَسْجُدْ لصنم قط ، ولم يشارك القوم فيما كانوا يسرفون فيه من : لهو باطل ، وسَمرٍ أثيم .

***

وقبيل الأربعين تجلَت طهارته صلى الله عليه وسلم حِسّاً وَمَعْنىً ، فهو الذى كان يترك مجامع مكة ومحافِلها ليصعد بعيداً فى الجبل حتى يصل إلى غار حراء ، وهناك يجلس وحيداً فريداً ، ويقضى الليالى ذوات العدد ، يتعبد .. ويتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، ويسأل مبدعَ الكون أن يكشف له عن الطريق الواضح الذى يصل به اليه .

حتى هداه الله بالوحي والرسالة ، وأكرم به أمته صلوات وسلامه عليه .

فاللهم إنا نسألك بحق هذه الذكرى الطاهرة أن توفقنا للعمل الدائم لنشر رسالة صاحب الذكرى وتطهيرها مما شوه جمالها وعزها حتى تعود مضيئة مشرقة هادية .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

"خطبة عيد الفطر"

الله أكبر (تسعاً) .

الله أكبر كبيرا .. والحمد لله كثيراً .. وسبحان الله بكرة وأصيلاً . سبحان ذى الطَّوْلِ والإنعام ، سبحان من عَنَتْ له الوجوه ، وسجَدَتْ له الجِبَاهُ ، تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام .

***

الحمد لله الذى هدانا لذكره وتوحيده ، ووفقنا لشكره وتعظيمه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

***

أما بعد ، فلقد كرَّمَ الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالقرآن الكريم الذى بدأ نزوله على قلب محمدٍ صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان ثم توالى نزوله بعد ذلك فى ثلاث وعشرين سنة حاملاً الهداية والتوفيق ، ناشراً لواءَ الاتحاد والمحبة والألفة بين كافة الأمم والأفراد .

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ " -١٣- الحجرات .

وحتى العبادات التى شرعها الله لعباده جعلها وسيلة للتعارف وسبباًلغرس المحبة فى القلوب فطالب بالجماعة فى كل يوم خمس مرات ، وألزم بالإجتماع لصلاة الجمعة والعيدين ، حتى تقوى فى الناس روابط الألفة ، فيصبحوا بنعمة الله اخوانامتساندين

متعاونين متناصرين .

* * *

وتتجلى عناية الإسلام بالْحَثّ على التآلف والتضامن فيما شرعه الله للمسلمين فى هذا اليوم العظيم من أنواع الصّلاَت ، وما سَّنَهُ لهم من صُنُوف البرّ والخيرات .

فيجتمع المسلمون فى هذا اليوم : ضارعين الى الله تعالى أن يَتَقَبَّلَ منهم عبادتهم، مسارعين إلى فعل الخيرات ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة .

* * *

تَسْرِى الفَرْحَةُ فى نفوسهم ، وترتَسمُ على مُحيَّاهم عَلاَئمُ الانشراح ذلك لأنهم طهَّرُوا بالصوم نفوسُهُمَ ، وأحْيَوْا بذكر الله قلوبهم فكانوا أحقاء بأن ينعموا فى هذا اليوم بجميل الطيبات : تحدثاً بنعمة ربهم وشكراً له على إكرامهم وعملاً بقوله تعالى :

" كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ "-١٧٢-البقرة .

* * *

فما أجملَ هذا العيد لو كان المعروف فيه بين الناس متبادَلا .

ما أجملهُ لو تركنا فيه الأحقاد ، وأدَّيناما بأعناقنا من حقوق العباد ، وحقوق رب العباد .

ما أجمل هذا العيد لو بَرَّ كلٌ منا بأمه وأبيه ، وأحسن إلى زَوْجهِ وبنيه ، وسعينا فيه لصلة الأرحام ، ومواساة الأيتام ، والعطف على المساكين :

" وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ "-٢٠- المزمل .

* * *

الله أكبر (سبع مرات) .

وبادروا بإخراج زكاة فطرِكُم عسى اللهُ أن يَتَقَبَّلَ منكم صيامكم : " إنما يتقبَّلُ اللهُ

من المتقين " .

وهى واجبة على المكلف : عن نفسه وزوجه وولده وخادمه ، والفقير من أبويْه إذا كان مقدار الزكاة فاضلاً عن حاجته الأصلية .

* * *

ومقدارها عن كل نفس : جنيهان ونصف .

ووقت وجوبها غروب شمس آخر يوم من رمضان ، ويجوز إخراجها ابتداءً من أول رمضان ، ولا يجوز تأخرها عن يوم العيد الا بعذر شديد ، كأنتظار فقير قريب - ، وهى لا تسقط بالتأخير - بعد ما تَجِبُ - بل تصير ديناً فى الذمة حتى تَؤَدَّىَ .

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم " ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " زكاة الفطر طُهْرَةٌ للصائم من اللغو والرَّفَث ، وطعمةٌ للمساكين " .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

" خطبة عيد الأضحى "

الله أكبر (تسعًا) .

الله أكبر ياباسطَ الأرض و يارافع السماء .

الله أكبر يامَنْ منْ فَيض جُوده : الوجودُ والنعْماء .

الله أكبر ياحكَيْما دون حكْنته ما يُقدرُ الحكماء ، إنْ تحكُمْ فلا مُعَقبَ لحُكْمك أو تَقض فلا رادَّ لقضائك .

الله أكبر يامَنْ كلُّ أمره : رحمة وهُدًى .. وكل تدبيره : صلاح ورضى تبْلوُ بالشرّ والخير فتْنَة .. ولك فى الحالين : مَقْصِد وحِكمة " .

* * *

الله أكبر يا مَنْ دَعَوْتَ مَنْ قدَّرْتَ له الخير الى جوَار بيتك الكريم ، فتركَ الأهل والدار ، وطرحَ زينةَ الحياة ، ولَبِسَ الرداء والإزار ولبَّى وتضرَّع ، ودعا وتخشع ، فأسبغت عليه الفضل والرضوان وعَمَمْتَه بالمغفرة والإحسان .

* * *

بالأمس اجتمع المسلمون فى عَرفَةَ ، فكان لهم منهُ ذكرى مؤتَمر سَنوىّ يجمعهم من شتى بقاع الأرض ليتعارفوا فى مهبط الوحى ، ومنزل النبوَّة .

ويُشْهِدُوا الله - وهم يستشرقون إلى الكعبة - على أن يكون عملُهم لله وجَهادَهم فى سبيل الله .

ويرجعون بالذاكرة إلى يوم المؤتمر الأول فى حجة الوداع فى السنة العاشرة من

الهجرة وقد تقرَّر فيه دُسْتُورُ الإنسانية الذى أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم بفضل الله ووحيه والذى اكتمل فى وقفة عرفات بإنزاله تعالى :

" ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا - ٣ - المائدة .

***

إن فى الإسلام شرائع له فيها أسرارٌ وأحكام ، وهى فى مَرَاميَها رموزٌ لحوادِث أو ذكرياتٌ لأيام .

***

وهذه آلاف من الأعوام مَرَّتُ على بَطَل الحادِث ومايُنْسَى أثَرُه : إبراهيم الخليل عليه السلام : يرى فى المنام أنه يذبح ولدَه ، والذبيح يقول : " ياأبت افعلَ ما تؤْمَر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين " ..

***

سبحانك اللهم .. هل بعد هذا البلاء بلاء ؟ وهل فى الوجود مِحْنَةٌ تفوقُ هذه المحنه؟ .

ابنٌ يُوهَبُ على الكِبَر - والله المحمودُ على أن رَزَق .

يسعى الأب والابن لتنفيذ أمر الله .. لم تمنع شيخوخة الأب من الاستجابه ولا شباب الابن من الخضوع ، ولكنٌ رحمةُ الله تسبق ، فيفديه بذبح عظيم :

" وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ " ، -١٠٤-١٠٥- الصافات .

***

ليس الفداء كبشاً يُقَادُ إلى مَصرعِه ، ولكنّ الفداء ، قبل ذلك وبعده - قلبٌ ينقادُ إلى طريق الحق ، ويهتدى بهدى الله ، اسمعوا قول الله تعالى :

" لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ " ، -٣٧- الحج .

* * *

مثلٌ فى البطولة الحقّة يضْربُهُ إبراهيم ، وكذلك يكون المؤمن الصادق ، فليس فى البال مايشغله إلا الامتثال لأمر الله .

ومثلٌ فى الصبر والخضوع لحكم الله يضربه إسماعيل ، فليست الحياة شيئاً إلا أن يكون أولها وآخرها فى سبيل المبادئ والمُثُلُ العَليا .

وهذا هو رَمْزُا الفداء .. وسرُّ الفداء .

* * *

والأضحية سنة مؤكدة تلزم القادر عليها وهو الذى يملك ثمنها زائداً عن حاجته وحاجة من يعول فى عامه .

وتكون الأضحية من الضانَ والمعز إذا بلغ سنة ، ومن البقر الجاموس إذا بلغ سنتين ، ومن الإبل - أي الجمال - إذا بلغت خمس سنين .

وَكلٌ من البقر والإبل يجزئ عن سبعة بيوت ؟ ويشترط فى الأضحية :

السلامة من العيوب .

ووقت الأضحية يبدأ بعد صلاة العيد ، ويستمر وقتها إلى غروب شمس رابع أيام العيد .

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال :

قلت يا رسول الله .. ما هذه الأضاحى ؟.

قال : سنة أبيكم إبراهيم .

قلت : فما لنا منها ؟ .

قال : بكل شعرةٍ حسنة ..

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

" من هم المؤمنون المفلحون "

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (9) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

أول سورة المؤمنون .

***

هذه سورة " المؤمنون " ، اسمُها يدلُّ عليها ويُحدِّدُ موضوعَها ، فهى تبدأ بصفة المؤمنين : " قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون " ثم تنتقل إلى دلائل الإيمان فى الأنفس : " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين " . ثم تنتقل إلى دلائل الإيمان فى الآفاق :

" ولقد خلقنا فَوْقَكُمْ سبعَ طرائق وما كنا عن الخلق غافلين " ثم تنتقل إلى حقيقة الإيمان - كما عرضها رسل الله - مِنْ لدن نوحٍ عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

" ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيرُه ، أفلا تتقون " ، ثم شبُهات المكذِّبين حول هذه الحقيقة ومحاربتهم لها حتى يستنجد الرسل بربهم . فيهلك المكذبين وينجى المؤمنين .

" قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (39) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (40) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ

بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ " . . . ٣٩-٤٠-٤١ المؤمنون .

ونعود الى مفتتح السورة : " قد أفلح المؤمنون " .

إنه الوَعْدُ الصادق ، والقرارُ المؤكَّدُ بفلاح المؤمنين وفوزهم فى الدنيا والآخرة فمن هم المؤمنون المكتوب لهم الخير والنصر والحياة الطيبة فى الدنيا ؟ من هم المؤمنون الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ؟ .

انهم هؤلاء الذين توضحُ الآيات صفاتهم ، وأول هذه الصفات : " الذين هم فى صلاتهم خاشعون " .. ، نعم .. تستشعر قلوبُهم رهبة الموقف فى الصلاة بين يدى الله فتسكن .. وتخشع .. ويسرى الخشوع من القلوب إلى الأرواح وإلى الجوارح فتختفى من أذهانهم جميع الشواغل ويتطهر وجدانهم من كل دنسٍ ، فما يضمُّون جوانحهم على شئ من هذا مع جلال الله عندئذٍ تتصل القلوب التائهَةُ بمصدرها ، وتجد الأرواح الحائرةُ طريقها ، وعندئذ تتضاءل القيم والأشياء والأشخاص إلا ما كان منها متصلا بالله .

***

" والذين هم عن اللغو معرضون : لغو القول .. ولغو العمل .. فإن لِقلْبِ المؤمن ما يشغله عن اللغو التافه .

له ما يشغَلُه من ذِكْرِ الله ، وتَدَبُّرِ آياته فى الأنفس والآفاق ، له ما يَشْغَلُه من تكاليف العقيدة : تكاليفها فى تطهير القلب والنفس ، وفى تعديل السلوك والأخلاق وأداء الأعمال والواجبات ، تكاليفها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، صيانةً لحياة المجتمع من الفسادِ والانحراف ، ثم تكاليفها فى الجهاد بالنفس والمال لحماية الحق والمبادىء والسهر عليهما من كيد الأعداء ؛ وهى تكاليف لا تنتهى ، وفيها الكفاية لاستغراق الجهد البشرى .

ولا ينفى هذا أن يُرَوِحُ المؤمن عن نفسه فى الحين بعد الحين .

***

" والذين هم للزكاة فاعلون " ، والزكاة : طهارةٌ للنفس من الشُح ، واستعلاءٌ على الأنانية وثِقَةٌ بما عند الله من العِوَضِ والجزاء ، وهى أيضاً طهارةٌ للمال ، تجعل ما بقى منه بعدها طيباً حلالاً - وذلك علاوة على أن الزكاة صيانةٌ للمجتمع من الخلل الذى يُنشئُهُ : العَوَزُ فى جانب .. والتَّرفُ فى جانب .

* * *

" والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم " ، وهذه طهارة الروح .. والأسرة.. والمجتمع بحفظ الفروج من دنس المباشرة فى غير الحلال ، وحفظ القلوب من التطلع إلى غير حلال ، وحفظ الأمة من انطلاق الشهوات فيها بغير حساب ، ومن فساد البيوت فيها والأنساب .

* * *

والأمة التى تنطلق فيها الشهوات بغير حساب آمةٌ معرضةٌ للانحلال فالانهيار لأنه لا أمْنَ فيها للبَيت ، ولا حرْمَةَ فيها للأسرة ، والبيت هو الوحْدَةُ الأولى فى بناء الأمة ، إذ هو المَحْضَنُ الذى تنشأ فيه الطفولة وتدْرَج ؛ ولابدَّ له من الأمن والاستقرار والطهارة ليصلح مَحَضَناً ومدرجاً يعيش فيه الزوجان مطمئناً كلاهما على الآخر وهما يرْعيان أطفالهما الأبرياء .

* * *

والقرآن هنا يحدّدُ المواضعَ النظيفة التى يحِلُّ للرجل أن يوُدِعَهاَ بذور الحياة فيقول تعالى .

" والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم " ..

ومسالة الأزواج لا تثير شبهة ، فهو النظام المشروع والمعروف .

قال صلى الله عليه وسلم :

" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة - أى القدرة على الزواج- فليتزوج ،

فإنه أغضُّ للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " أى وقاية .

* * *

أما بعد ، فإن الآيات تمضى فى متابعة أوصاف المؤمنين المُفْلحين فيقول تعالى :

" والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون " ، والأمانات كثيرة : فى عنق الفرد وفى عنَقْ الجماعة ، وفى مقدمتها : أمانة الفطرة ، فقد فطرَ اللهُ الأنفس مستقيمة .. شاهدةً بوجود الخالق ووحدانيته ..؛ والمؤمنون يَرعوْن تلك الأمانة الكبرى التى تقوم عليها جميع الأمانات والعهود .

فكلُّ عهدٍ يقطعه المؤمن على نفسه يجعل الله شهيداً عليه فيه ، ويرجع فى الوفاء به إلى تقوى الله وخشيته .

* * *

" والذين هم على صلواتهم يحافظون " ، فلا يُفوّتونها كسلاً ، ولا يُضَيّعُونَها إهمالاً ، ولا يقصّرُون فى إقامتها كما ينبغى أن تقام ؛ فالصلاة صِلَةٌ بين العبدِ والرَّب، والذى لا يحافظ عليها لا ينتظر منه أن يحافظ على صِلة ما بينه وبين الناس محافظة حقيقية : مبعثها صدق الضمير ومراقبة الله عز وجل .

* * *

وقد بدأت صفات المؤمنين بالصلاة ، واخُتُتمِتْ بالصلاة للدلالة على عظيم مكانتها فى بناء الإيمان بوصفها أكمل صورة من صور العبادة ، والتوجه إلى الله .

* * *

هذه هى الصفات التى تُحدّد شخصية المؤمنين الذين كتب الله لهم الفلاح : وهى صفات ذات أثرٍ حاسم فى تحديد نوع الحياة التى يحياها المؤمنون .. الحياة الفاضلة اللائقة بالإنسان الذى كرّمه الله ، وأراد له أن يتدرَّجَ فى مدارج الكمال .

فهل آن لنا أيها الإخوة والأخوات أن نحرص كلَّ الحرْص على هذه الحياة الفاضلة فتتخلّق بأخلاق المؤمنين ، ونتحلى بصفاتهمْ في صدق وإخلاص ؟

* * *

هدانا الله .. ووفّقنا .. وأعزنا .. ونَصَرنا .. وكتب لنا الفلاح .. وهيأ لنا من أمرنا رشداً .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المهاجرون .. والأنصار

"وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا
تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾
٩-١٠- الحشر .

***

ليست الأمة الإسلامية جماعةً من الناس هَمُّها أن تعيش بأى أسلوب ومادامت تجد القوت فقد أراحت واستراحت كلا فالمسلمون أصحاب عقيدة تحَدد صلتهم بالله ، وتوضحُ نظرتهم إلى الحياة .. وفرقٌ بين امرئٍ يقول لك : همِىّ فى الدنيا أن أحيا فحسب ، وآخر يقول : اذا لم أحرس الشرف وأصن الحقوق وأرضى الله فلا سَعَتْ بى قدم ، ولا طرفَتْ لى عين .

***

والمهاجرون إلى المدينة لم يتحولُوا عن بلدهم ابتغاء ثراءٍ أو استعلاء وكذلك الأنصار الذين استقبلوهم وناصبوا قومهم العداء لم يفعلوا ذلك لُيعيشوا كيفما اتفق .. إنهم جميعاً يريدون أن يستضيئوا بالوحْى ، وأن يحققوا الحكمة العليا التى من أجلها خُلِقَ الناس وقامت الحياة .

***

وهل الإنسان إذا جحد ربه واتبع هواه إلا شيطانٌ ذميم .

* * *

من هنا شُغِلَ رسولُ الله أوّلَ مَسْتقَرّه بالمدينة بوضع الدعائم التى لابُدَّ منها لقيام رسالته ، فأهتم أولا بصلة الأمة بالله وثانيا بصلة الأمة بعضها ببعض .

ففى الأمر الأول بادر الرسول إلى بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التى طالما حُورِبَتْ ، ولتقام فيه الصلوات التى تربط المرءَ برب العالمين .

واشترك الرسول وأصحابه فى حمل اللبنات والأحجار على كواهلهم ، وتمّ المسجد فى حدود البساطة : فراشه الرمال والحصباء ، وسقفه الجريد وأعمدته الجذوع ، وجدرانه من الحجارة .

لكن هذا البناء المتواضع الساذج هو الذى ربَّى صحابة رسول الله . إن مكانة المسجد فى المجتمع الإسلامى تجعله مصدر التوجيه الروحى والمادى فهو ساحة العبادة ، ومدرسة للعلم .

والمسجد الذى اهتم ببنائه - قبل أى عمل آخر بالمدينة - لم يُقصَدْ به أن يكون أرضاً تحتكر العبادة فوقها ، فالأرض كلها مسجد ، والمسلم لايتقيد فى عبادته بمكان انما المسجد رمزٌ لشئ هام ، هو وصَلُ العباد بربهم وصلاً يتجدد علىَ الزمن ويتكرَّر مع آناء الليل وأطراف النهار .

فلا قيمة لحضارة تذهَلُ عن الإله الواحد ، وتجهل اليوم الآخر وتخلِطَ المعروف بالمنكر .

* * *

أما عن الأمر الثانى - وهو صلة الأمَّة بعضها ببعض - فقد أقامه الرسول على الإخاء الكامل . ومعنى هذا الإخاء :أن تذوب عصبيات الجاهلية فلاحُمِّيةَ إلا للإسلام ، وأن تَسْقُطَ فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتَأخرُ أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه .

حرص الأنصار على الحفاوة بإخوانهم المهاجرين ، وقدَّر المهاجرون هذا البذل الخالص . فما استغلوهُ ولا نالوا منه إلا بقدر ما يتوجهون الى العمل الحُرّ الشريف .

روى البخارى أنهم لما قدمُوا المدينة آخى الرسول بن عبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن الربيع ، فقال سعد لعبد الرحمن : إنى أكثر الأنصار مالاً فأقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّيها لى أطلقها فإذا انقضت عدّتها فتزوجها ، فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك .. أين سوقكم ؟ فدلوهُ على السوق، ثم تابع الغَدُوّ حتى جاء يوما سأله الرسول عن حاله فقال : تزوجْتَ يا رسول الله .

قال : كم سُقْت إليها - أى كم دفعتَ مهراً - قال : نواةٌ مِنْ ذَهَب .

* * *

وإعجاب المرء لسماحة سعد لا يعدلُه إلا إعجابُهُ بنبل عبدالرحمن هذا الذى زاحم اليهود فى سوقهم واستطاع بعد فترة قصيرة أن يكسب ما يعُف به نفسه .. إن علوّ الهمّة من خلائق الإيمان .

* * *

وكان رسول الله الأخ الأكبر لهذه الجماعة المؤمنة ، لم يتميَّزْ عنهم بلقَبٍ إعظام خاص ، وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" لو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لأتخذت أبا بكر خليلاً ، لكن أخُوةْ الإسلام أفضل " .

* * *

أما بعد ، فإن الحب كالنبع الدافق يَسيلُ وحده ولا يُتَكَلَّف استخراجُهُ بالآلات والأثقال .

والأخوة انما هى أثر تَخلُصِ الناس من نوازع الأثَرَةِ والشُّح والضَّعَة فالإخاء الحق لا ينبُت فى البيئات الخسيسة فَحَيْثُ يشيع الجهل والنقص والجبن والبخل والجشع لا يمكن

أن يصبح إخاءً أو تترعرع محبة .

ولولا أن صحابة رسول الله جبلُوا على شمائل نقية ، واجتمعوا على مبادئ سامية ماسَجَّلَتْ لهم الدنيا هذا التآخى الوثيق فى ذات الله .

فَسُمُوُّ الغاية التى التقوا عليها ، وجلال الأسوة التى قادَتْهُمْ إليها نَمَّيَا فيهم خلال الفضل والشرف .

وقد تُبودِلت الأخوة بين المسلمين الأولين لأنهم ارتقوا بالإسلام فى نواحى حياتهم كلها فكانوا عباد الله إخوانا ، ولو كانوا عبيد أنفسهم ما أبقى بعضهم على بعض .

عن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" أيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن لِلهِ عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ، فجثا رجل من الأعراب وألْوىَ بيده الى النبى وقال : يارسول الله صفْهُمْ لنا ، فسُرَّ وَجْهُ النبى بسؤال الأعرابى وقال : هم ناسٌ لم تصل بينهم أرحامٌ متقاربة تحابُّوا فى الله وتصافواْ .. يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسون عليها ، فيَجْعَلُ وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " .

وفقنا الله .. وطهر قلوبنا .. وهيأ لنا من معانى الأخوة فى لله ما يرفع من شأن أمتنا الإسلامية .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

" إياكم والظن .. فإن الظن أكذب الحديث "

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ولاتَجسّسُوا ولا تحسَّسُوا ولا تحاسدواْ ولا تباغضوا ولا تدابَرُوا : وكونوا عباد الله إخوانا - كما أمركم الله تعالى : المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقرُه ، بحسْب امرئ من الشر أن يحقِر أخاه المسلم ، كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمُه .. وماله .. وعرضُه ، إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صورَكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، التقوى ها هنا - قالها ثلاثا - وهو يشير إلى صدره ، صلى الله عليه وسلم " رواهَ البخارى ومسلم .

***

إن الدين الإسلامى دائماً وأبداً يدعو إلى مكارم الأخلاق : " إنما بُعثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق " ، ويرشد الى الخير ، وينهى عن الشر : حرِصاً على سلامة الأمة الإسلامية مما يَوجبُ غضب الله ، وحفظاً لكيانها وسُمعتها بين الأمم ، وحتى تسْموَ إلى ماتَصبُو إليه من سعادةٍ ورخاء .

***

وفى هذا الحديث الشريف ينهانا رسول الله صلى الله عليه وسلام عن : ظنّ السُّوء الذى لم يَقُمْ صدقُهُ على دليل ، ولا هو الذى يطابق الحقيقة والواقع ، وهو ذلك الظن الذى حذَّرنا منه القرآن الكريم فقال تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ " .

اما الذى يُوردُ نفسه موارد الشّكّ والارتياب ويَغْشَى مواطن الشبهة والفجور فهو الذى يُعْلِنُ عن نفسه فلا إثم على من ظنّ به سوءاً .

* * *

بعد ذلك نهانا عن التجسس وتتبُّع عورات الناس وفى الحديث الشريف :

" لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعُوا عوراتهم فإنه من تَتَبَّعَ عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جَوْفِ رَحْلِه " .

* * *

أما لو تَعَيَّنَ التجسس طريقاً لدرء المفاسد ، وجلب المنافع ، وحفظ الآمْنِ وسلامة الوطن من الأعداء ، فهو سُنَّةٌ محمودة وطريقة مشروعة .

* * *

ولَشَدَّ ما حَذَّرَنا من مبعث الشرور ، وموقظ النار فى الصدور ، طالما دعانا إلى تطهير قلوبنا من الغِلّ والحقْد والحسد كما جاء فى القرآن الكريم : ؛ ولا تتمنَّوْا ما فضَّلَ الله به بعضكم على بعض " .

* * *

فالحسَدُ شرٌّ كُلُّه ، وكفاهُ ذَمّاً أنه يُفْسِدُ الطاعات ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، ولقد أبىَ الإيمان أن يَسْتَقِرَّ فى قلب حاسد ،لأن الإيمان .. والحسد .. خصمان لا يأتلفان وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

" لا يجتمع فى قلب عبْد : الإيمان والحسد " .

وحسْبُنا أن النبى صلى الله عليه وسلم تَبَرّأ منهم فقال : ليس منّى ذُو حَسَد ثم تلا قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا . -٥٨- الأحزاب .

* * *

وَلِمَ لايتبرأ الرسول صلى الله عليه وسلم منهم وهم أعداءُ النِعم كما ورد فى الحديث القدسى :

" الحاسد عدُو نعمتى ، مُتَسَخِّطٌ لفِعْلِي ، غَيْرُ راضٍ بقسمتى التى قسمت بين عبادى " .

وقد أمرنا الله بالاستعاذة من شرّهمْ فقال تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ - ٥- الفلق .

***

يقول ابن سيرين رحمه الله : " ما حَسَدْتُ أحداً على شَىْءٍ مِنْ أمْرِ الدنيا قَطّ لأنه إن كان من أهل الجنة ، فكيف أحْسُدُهُ على الدنيا وهى حقيرة وإن كان من أهل النار ، فكيف أحسده على الدنيا ومصيره إلى النار ؟ " .

***

بعد ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : " وكونوا عبادَ الله اخواناً كما أمركم الله تعالى " .وكأنى به صلى الله عليه وسلم يقول :

إذا تركتم التحاسد والتباغض والتدابُر كنتم إخواناً ، وإلا كنتم أعداءً لأن الأخُوّة تدعو إلى المحبة والإخلاص والتقدير ؛ فحيث كانت الأخوة كان اطعام الطعام وإفشاء السلام ، وكانت طلاقة الوجه ، والمعاونة على البِرّ والتقوى .

***

" كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه .. وماله .. وعرضه .. فلا يَحلُّ لمسْلِم أن يقتل أخاه ظلماً وعدواناً ، ولا أن يسْلبَ ماله زوراً وبهتانا ولا أن يَهْتِك عرضه ،

" ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ " -٦٨-٦٩ الفرقان .

فلو أنصف الناس لعَلِموا أن الدين محبةٌ خالصة ، وصداقة صادقة فى ظل تعاليمه

السَّمحةَ الكريمة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

" قد أفلح من أخْلص قلبه للإيمان ، وجعل قلبه سليماً ولسانهُ صادقاً ونفسه مطمئنة وخَليقَتَهُ مستقيمه " .

أما بعد ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا فى هذا الحديث الشريف بالأخوة ، فهى التى توجب المحبة وتدعو إلى الوِفاق ، وتقتضى عدم البغى والخذلان ، فالمسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقرُه " .

***

وهكذا تكون الأخُوة بين عباد الله المؤمنين الصادقين الذين يحبُّون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم .

وكأنى بخاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول : " التقوى ها هنا - ويشير الى صدره - كأنى به مُوضَحاً أن الأعمال بالنيات - والنية محلها القلب - فلا رياء أو تفاخر أو مخادعة .

***

فإن استقامت القلوب وصَدَقتْ برسالة الصادق الأمين وامتلأت بنور الإيمان واليقين كانت السعادة ، وكان الفوز .

وإن فسدت القلوب وأظلمتْ كان البلاء والخسران المبين .

***

نسألك اللهم أن تطهر قلوبنا من أمراض القلوب وأن تعمرها بنور الإيمان واليقين .

***

وفى هذا المعنى يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " ألا وإنَّ فى الجَسَدِ مُضغةً إذا صَلحت صلح الجسدُ كله ، وإذا فسَدَت فسدَ الجَسَدُ كله ، ألا وهى القلب " .

***

دائماً ينظر الله جل شأنه إلى القلوب ،لأنها وعَاءُ التقوى ، وموضع الإيمان وينظر إلى الأعمال لأن عليها مدار الثواب والعقاب .

نسألك اللهم أن تطهر قلوبنا من أمراض القلوب ، وأن تعمرها بنور الإيمان واليقين..

***

" فتح مكة "

تمَّ صلحٌ بين النبى صلى الله عليه وسلم ومُشْرِكِي مكة سُمِّى " صلح الحُدَيْبِيَة " ، فى السنة السادسة من الهجرة ، وكان ضمْنَ شروطه : هُدْنَة مَدَتُها : عشر سنوات ، وأنه من أحبَّ أن يدخل فى عقد مَحمد وعهده ، دخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل فى عَقْد قريش وعهدهم دخل فيه - وأُمْضِيت الشروط ، وأعْلَنَتْ قبيلة خزاعة " دخولها فى عقد المسلمين ، وأعلنت قبيلة " بنى بكر" ، دخولها فى عقد قريش .

كان هذا فى أواخر السنة السادسة من الهجرة .

***

ومضى عامان .. اشتغل المسلمون فى أثنائهما بنشر الدعوة الأسلامية ، بينما ظلت قريش على جُمُودها القديم فى إدارة سياستها ، وقد جَرَّها هذا إلى حماقةٍ كبيرة أصبح بعدها عهد الحديبية " لغْواً .

***

وذلك أنهَا مع حلفائها من " بنى بكر " هاجَمُوا " خزاعة " ، وهى مع المسلمين فى حلف واحد - وقاتلوهم فأصابوا منهم رجالاً ، فَبَعَثَتْ " خزاعة " ، عمرو بن سالم يسْتنجدُ برسول الله ، فجاء إلى " المدينة " ، والرسول صلى الله عليه وسلم فى المسجد بين صحابَتِهِ ، فأنشده عمرو أبياتاً جاء فيها :

يارَبِّ إني ناشدٌ محمدا * حلفَ أبينا وأبيه الأتْلَدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيَّتونا بالوتيــر هُجَّدَا * وقتَلونا : ركعًا وسُجَّدَا

فقال صلى الله عليه وسلم :

نُصِرْتَ يا عمرُو بن سالم .

وأحَسَّتْ قريش - بعد فوات الأوان - خطأها ، فخرج أبو سفيان - زعيم مكة - إلى المدينة ، يحاول أن يعيد للعَقْد المُهَدرِ حُرْمته ، فلقى إعراضا من الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار صحابته ، حتى قال له علىٌّ كرَم الله وجهه : والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمْر لا نستطيع أن نكلمه فيه ، ونصحه أن يعود من حيث جاء ؛ وأمر النبى المسلمين أن يتجهزوا ، وأعلمهُم انه سائر إلى مكة وأوصاهم بالجدّ .

وسار الجيش يطوى الوهَادَ والنِّجاد مسرِعاً إلى مكة حتى بلغ " مَرَّ الظهران " قريباً منها فى العشاء .

فنزلوا .. ونصبت الخيام ، وأوقدت النيران فى معسكرٍ ضَمَّ عشرة آلاف من المسلمين حتى أضاء منها الوادى .

كل ذلك وأهل مكة فى عماية من أمرهم لا يدرون عن القضاء النازل بهم شيئا .

***

وعَزَّ على العباس - عم النبى صلى الله عليه وسلم - أن تُجْتَاحَ مكة فى أعقاب قتال تتفانى فيه ولا يُجْدِيها فتيلا - فخرج يبحث عن وسيلة تقنع قريشاً بمسالمة النبى وتُدْخِلها فى أمانه .

***

وصادف ذلك أن ثلاثة من كبراء "مكة" ، خرجوا يتعرَّفون الأخبار ، فأسرُوا وجئ بهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهم : أبو سفيان - زعيم مكة - وبُدَيْل بن ورقاء وحَكيم بن حزام .

ولحق العباس بالأسرى وهو يُعْلنُ أنهم فى جواره - فلما دخلوا على النبى حادثهُم عامّة الليل و فأنشرحت صدروهم للإسلام ، وإن كان أبو سفيان قد تأخَّرَ إسلامه حتى طلع الصبح .. ثم سألوه الأمان لقريش فقال صلى الله عليه وسلم : منْ دخل دار أبى

سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

* * *

وضمَّ الرسول إلى ذلك المسْلك مع أبى سفيان أن أوْصَى العباس باحتجازه فى مضيق الوادى حتى يستعرض الكتائب الزاحفةَ كلها فلا تبقى فى نفسه أثارةٌ لمقاومة.

ومَرَّت كتائب الجيش على راياتها ، كلما مَرَّتْ كتيبة قال : ياعباس مَنْ هؤلاء ؟ فيجيبه .. حتى مَرَّ الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء - وفيها المهاجرون والأنصار - فقال : سبحان الله .. مَنْ هؤلاء ؟

قال العباس : هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار فقال أبو سفيان : مَا لأحَدٍ بهؤلاء مِنْ قبلٍ ولا طاقة ، والله ياأبا الفضل لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك الغداة عظيماً

فقال العباس : يا أبا سفيان .. إنها النُبُوَّة قال : فنعِم إذن .

* * *

ودخل أبو سفيان مكة مبهوراً وهو يُحسُّ أنَّ مِنْ ورائه إعصاراً إذا انطلق اجتاح ما أمامه .

ورأى أهل مكة الجيش الفاتح يُقبل من بعيد ، فاجتمعوا على سَادَتِهم ينتظرون الأوامر بالقتال .

وإذا بصوت أبى سفيان ينطلق عالياً : يا مَعْشَرَ قَريش .. هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به : فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمنْ .

قالوا : قاتلك الله .. وما تُغنى عنا دارك ؟ .

قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمِنٌ ومن دخل المسجد فهو آمِنٌ .

* * *

وأصبحت "مكة" ، وقد قَيَّدَ الرُّعبُ حركاتها ، فاختفى الرجال وراء الأبواب الموصَدَة أو اجتمعوا فى المسجد الحرام يرقبون مصيرهم وهم واجِمُون .

على حين كان الجيش الزاحف يتقدّم ، ورسول الله على ناقته رأسهُ خفيضٌ مَن شدة التخشع لله ، إنّ هذا الفتح المبْين ليذكّرَه بماضٍ طويل الفصول : كيف خرج مِنْ مكة مُطارَداً ؟ وكيف يعود إليها اليومَ منصوراً مُؤيَّداً .

ثم نَهَضَ رسول الله إلى البيت العتيق ، فطوَّفَ به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفه حوله ويضربها بقوسه ظهراً لبطن ، فتقع على الأرض مهشّمةً متناثرة .

كانت هذه الحجارة - قبل ساعة - فى نظرهم آلهة مقدسة ، وهى الآن : تراب وأنقاض يهدمُها نبى التوحيد وهو يقول :

جاء الحق وزهق الباطن ، إن الباطن كان زهُوقاً " .

* * *

حتى اذا طهرٌ المسجد من الأوثان أقبل على قريش - وهم صفوف صفوف - يرْقَبُون قضاءهُ فيهم فقال : لا إله إلا الله وحده ، صدق رعَدَه ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده .. فلاشىء بعده .

ثم قال : يا معشر قريش .. ما ترَوْن إنى فَاعِلٌ بكم ؟

قالوا : خيراً .. أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : فإنى أقول لكم ما قال يوسفُ " لإخوته : لاتَثْريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " اذهبوا فإنتم الطلقاء .

* * *

أما بعد ، ففى يوم " الفتح " ، قد ترجع الذكريات إلى رجال لم يشهدوا هذا الفتح المبين ، ولم يسمعوا صوت بلال ينساب من فوق ظهر الكعبة بشعائر التوحيد ولم يَرَوْا الأصنام مكبوبَةً على وجوهها ، ولم يَرَوْا عُبَّادَهَا الأقدمين وقد اتجهوا إلى الإسلام .

* * *

نعم .. فى يوم الفتح قد ترجع الذكريات إ لى هؤلاء الرجال الذين استُشْهدُوا إبان

المعركة الطويلة التى نشبت بين الإيمان والكفر .

لكن " النصر " ، الذى يجْنى الأحياء ثماره دائماً للشهداء فيه نصيبٌ كبير ، وجزاؤهم عليه مكفولٌ عِنْدَ من لا يظلمُ مثقال ذرة .

انه ليس من الضرورى أنه يشهد كل جندى النتائج الأخيرة للكفاح بين الحق والباطل ، فقد يخترمه الأجَل فى المراحل الأولى منه ، وقد يَصرعُ فى هزيمة عارضة ،كما وقع لسيد الشهداء " حمزة " ، ومن معه .

والقرآن يُنَبِّهُ أصحاب الحق بأن المعوَّل فى الحساب الكامل على الدار الآخرة - لا على الدنيا - فهناك الجزاء الأوْفَى للمؤمنين والكافرين جميعاً . قال تعالى :

" فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ " .
-٧٧- غافر .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

" وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ " ١١٨ - ١١٩ التوبة

***

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة " تَبُوك " ، فى السنة التاسعة من الهجرة ، فَبَدَأَ بمسجده بالمدينة فصَلَّى ركعتين ثم جلس كعادته ، فجاءهُ الذين تخلَّفُوا عن الخروج معه للجهاد : يعتذرون اليه ، ويحلفون له - وكانوا بضْعَةً وثمانين رجلا - فَقَبِلَ منهم النبى صلى الله عليه وسلم علانِيَتَهُمْ ، واستغفر لهم ، وَوَكَلَ سرائرهم إلى الله وجاءه كعبُ بن مالك - أحد الذين تخلفوا - فلما سَلَّمَ تبسَّمَ النبى صلى الله عليه وسلم تَبَسُّمَ المُغْضب ثمَّ قال له : تعال .. قال كعبٌ يحكى قصَّته :

فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لى . ما خَلَّفَكَ يا كعب ؟ ألم تكُنْ قد ابْتَعتَ ظَهْرَك ؟ أى اشتريت الدابَّة التى ستخرج عليها - فقلتُ : بلى والله وإنى يا رسول الله .. سَأُحَدِّثُكَ حَدِيثَ صدْق ، قد تغضَبُ بسببه عَلَىّ ، لكنى أريدُ به عَفْوَ الله عنى ، والله يا رسول الله ما كان لى من عُذْر ، والله ما كنت قَطْ أقوى ولا أيْسَرَ منى حين تخلَّفتُ عنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صَدَقَ ، فقُمْ حتى يقضىَ اللهُ فيك .. فقُمْت ..

***

واتبعني رِجَالٌ من " بنى سَلمه" ، يقولون : والله ما عَلمنْاكَ كنت أذنَبْتَ ذنباً قبل هذا ، فلماذا لم تعتذر للرسول بما اعتذر به المُخَلَّفون ، فقد كان كافيك استغفار رسول الله لك .. وألحوا عليّ حتى كدت أرجع إلى الرسول فأكَذّبَ نَفْسِي .

لكنى سألتُهم : هل لقى هذا معى أحد ؟ قالوا : نعم .. رجلان قالا مثلما قلت ، فقيلَ لهما مثلما قيل لك ، قلت : مَنْ هما ؟

قالوا : مَرارة بن الربيع ، وهلال بن أمَيَّة ، فذكروا رجلين صالحين ، شَهِدا غزوة "بدر" ، فيهما أسوة .

***

ونهىَ رسوْل الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا - نحن الثلاثة - من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيرُّوا لنا ، حتى تنكرَّتْ لِى الأرض فما هى بالتى أعْرِف .. ولَبِثْنَا على ذلك خمسين ليلة .

فأما صاحبِاى فاستكانا وقعَدا فى بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنتُ أشَبَّ القوم وأجْلَدَهُمْ ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف فى الأسواق .. ولا يُكَلِّمنِى أحد .

***

حتى اذا طال علىّ ذلك مِنْ جَفْوَةِ المسلمين ، دخلتُ على " أبى قتادة " .

وهو ابن عمى ، وأحبُّ الناس إلى - فسلَّمْتُ عليه .. فوا الله مَارَدَّ علىّ السلام ، فَقُلْتُ : يا أبا قتادة .. أنْشُدُكَ الله .. هل تعلمنى أحبُ اللهَ ورسوله .. فسكت .. مرتين .. ثم وفى الثالثة قال : اللهُ ورسوله أعلم ، ففاضَتْ عيناى .. وخرجت .

فبينما أنا أمشى بسوق المدينة إذا بَرجُلٍ من الذين يقْدمُون من الشام لبيع الطعام بالمدينة يقول : مَنْ يَدُلُنى عَلى " كعب بن مالك " ؟.

فطفق الناس يشيرون له علىّ .. حتى إذا جاءنى دفع إلى " كتاباً " ، مِنْ مَلك

" غسان" ، الكافر فإذا فيه :

أما بعد .. فقد بلغنى أن صاحبَك - يقصد النبى صلى الله عليه وسلم - قد جَفَاك ولم يجعلك الله بدارِ هوان ولا مَضْيَعَة ، فالْحَقْ بنا نواسيك ونضعك فى مكانك اللائق بك .

فقلت لما قرأتها : وهذا امتحانٌ آخر من الله .. وأخذت الرسالة فأحْرَقْتُها .

***

حتى إذا مضَتْ أربعون لَيْلة من الخمسين إذا برسولٍ من عند النبى صلى الله عليه وسلم يأتينى فيقول : إن رسول الله يأمرُكَ أن تعتَزِلَ امرأتك .

فقلت لامرأتى : ألحقِى بأهلك لتكونى عندهم حتى يقضَى الله فى هذا الأمر .

***

فلما أدَّيتُ صلاة الفجر صُبْحَ خمسين ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا وعلى سطح بَيتٍ من بيوتنا ، وبينما أنا جالسٌ على الحالِ التى ذكرَ الله تعالى ، قد ضاقتْ علىَّ نفسى وضاقت علىَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ .. سمعتُ صوتَ صارخ أوفَى على الجبَلَ ينادى بأعلى صوته .

ياكعبُ بن مالك .. أبشرْ .. فخرَرْت ساجداً ، وعرَفتُ أنه قد جاءَ فَرَجٌ من الله ، وانطلقتُ الى رسول الله .. فتلقانى الناس :فوجاً فوجاً يهنئوننى بالتوبة ، قال كعب :

حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله جالسٌ وحوله صحابته ، فلما سَلَّمْتُ عليه قال : ووجهُهُ يبْرُقُ من السرور - حتى كأنه قطعة قمر : يا كعب ، أبْشرْ بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك ، فقلت : أهو مِنْ عندك يا رسول الله .

قال : بل هو من عند الله .. ثم تلا قوله تعالى :

" وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم لِيَتُوبُوا إن الله هو

التواب الرحيم يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ،

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويَتَحَرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صِدِيقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى الى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

أما بعد ، فهؤلاء ثلاثةُ رجال تخلّفُوا عن غزوةٍ خرجَ إليها النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين ألفاً من المسلمين ، فلماذا اعتبرهُم الرسول مذنبين ؟ ولماذا قوطعوا من المسلمين خمسين يوما بلياليها ؟ وهل تَخَلُّفُ ثلاثه من المسلمين عن غزوةٍ كهذه شئ هام لدرجة أن ينزلَ فى شأنهم قرآنٌ يُتلىَ ؟

* * *

والجواب عن هذا كله أن غزوة تُبوك هذه ما كان ينبغى لأحدٍ أن يتخلّفَ عنها ، لأن المسلمين كانوا يواجهون فيها قُوَى دولة الرُوم المستعزة الظالمة ، فإما انتصروا عليها فرفع الإسلام رأسه .. وإما انهزموا فضاع الإسلام ، وإذا كان الأمرُ كذلك فلابُدَّ أن يواجههم الإسلام بكل قوته ، وتخلفُ أى مسلم قادرٍ عن أداء هذا الواجب يجعله فى موقف المستهتر بمستقبل دينه وأمته .

ومن هنا أعتُبِرُوا مُذنبين ، وَقوطِعُوا خمسين ليلة ، حتى تابوا توبةً نصُوحاً فتاب الله عليهم .

ونحن الآن – وبعد عشرات السنين من الحروب المتواصلة ، وبعد معاهدة السلام وبعد اتفاق " غزة– أريحا " ، لا زِلنا نواجهُ معركتين ! معركة اتمام تحرير الأرض سلماً ، ومعركة اعادة بناء وطننا بالعلم والإيمان ، فإمّا نجحْنا فرفعنا رءوسَنا ومضينا فى إعلاء البناء : كراما أعِزة .. وإما فشلنا فرجعنا إلى الوراء عشرات من السنين .

* * *

ولذلك فإن أىّ مُتَخَلف عن أداء واجبه فى أىّ موقع يوضَعُ فيه يُعتبرُ مُذْنباً ولا يتوب الله عليه قبل أن يُبَرْهِنَ على صدقِهِ فى توبته بارجوع إلى أداء الواجب ، والإخلاص فيه .

ولم يَعُدْ هناك مجال فى أن يستَهتِر أحدنا بجهُده ، وليُثقْ أن جهده مع جهد أخيه- بِعَوْنِ الله وتوفيقه - هو الطريق الصحيح لاِتْمَامِ التحرير وإعادة البناء ..

هدانا الله .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

" وأذن فى الناس بالحج "

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾
لِّيَشْهَدُوا مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا
مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

* * *

كان أهل الجاهلية يعظمون الكعبة ، لكنهم كانوا أيضاً يُقَدِسون أصنامهم التى وضعوها فى الكعبة وحواليها .. وكانوا يصلون عند الكعبة ، لكنها صلاة كانت خليطا من التهريج والصفير والتصفيق ، وقد عابها اللهُ عليهم إذ قال تعالى :

" وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصْدِية ، والمكاء : تصفير ، والتصدية التصفيق ، وكان منهم من يرى من مظاهر التقديس أن يطوفوا بالكعبة عرايا فَبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة فى موسم الحج فى السنة التاسعة من الهجرة مَنْ يُؤَذِّنُ فى الناس : " ألا لا يحجنَّ بعد العام مشرك ، ولا يطوفنَّ بالبيت عريان .

* * *

جاء الإسلام حينئذ يقرر وجوب الحج على الناس جميعاً : من استطاع إليه سبيلاً .

وقد بين القرآن ؛ وفصَّلت السُنة شعائره ومناسكهُ خالصة من ذلك الدخيل ، مصفَّاةً من تلك الشوائب ، وأصبح الدين فى الحج خالصاً لله وحدُه ، وصار نسُكاً لا يقصدُ به عبادة إنسان أو مكان ، وإنما هو عبادة الله الذى خلق كل شئ لا يحصُرهُ مكان ، ولا يحدُهُ زمان :

" ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " ، الشورى .

* * *

فالاتجاه إلى الكعبة ، والطواف حولها ، وأداء الشعائر والمناسك عندها وفى الأماكن القريبة منها - مع الاعتقاد واليقين بوحدانية الإله وتنزهه عن الحلول فى بيت أو شخص أو مكان - ليس الغرض منه فى دين الإسلام إلا تَوْجِيهَ أهله وجهة واحدة وقبلة واحدة ، وتوحيد صفوفهم ، وجمع كلمتهم على ما يحقق الصالح العام لهم ولأهل الأرض جميعا .

* * *

وإن شعائر الله فى الحج جاءت جميعها لحكم وأسرار ، فهى منزّهةٌ عن العبث واللهو ، مُبَرّأَةٌ فى جملتها وتفصيلاتها من أن يكون فيها شئ لا نفع فيه ولا صلاح .

انها - فى جملتها وتفصيلاتها - تزكية للنفوس ، وتطهيرٌ للقلوب ، وصفحات مجيدة ، وذكريات خالدة ينبغى أن يعرفها المسلم ، ويستحضرها فى أثناء حجه ، ويذكر بها وقائع وأحْدَاثاً رائعة من تاريخ أبى الإسلام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وما كان من هجرته بأهله : زوجه "هاجر" ، وابنه الطفل الصغير " إسماعيل " ، إلى وادى مكة ؛ ونزولهم فى أرض الكعبة ، وما لاقتْهُ هذه الزوجة الكريمة المؤمنة من الجهد والمشقة فى ذلك الوداى الجدب الذى لا ماءَ فيه ولا زرع .

وما تجملتْ به من الجلد والصبر : طاعةً لأمر الزوج الذى هو مِنْ أمْرِ الله - ثم مالقيه إبراهيم عليه السلام من البلاء العظيم : ابتلاه الله إياه وأمره بذبح ولده إسماعيل ، وما كان من محاولة الشيطان معه كى لا ينفذ ما أمر الله .

ثم مقاومته تلك المحاولات الخبيثة بأعظم الجلد والصبر والقوة والالتجاء إلى الله والتسليم لأمره حتى كانت المِنَّةَ الكبرى ، وكان ذلك الفداء العظيم .

* * *

ومن هنا نلمسُ حمكة الهدْىَ الذى جعله الله نسُكاً فى الحج ، وحكمة الأضاحى التى يتقرب بها إلى الله فى أيام النحر .

فذبح الهدى أو الأضحية هو المذكِرُ الحقيقى بنعمة الفداء - وهو ضمن الشعائر التى تربط الإسلام بتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

***

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما هذه الأضاحى ؟

قال : سنة أبيكم إبراهيم .

قلت : فما لنا منها ؟

قال صلى الله عليه وسلم : بكل شعرةٍ حسنة .

***

أما بعد فإن النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى حديث شريف : الحج "عَرفَة " ، وإن الوقوف بعرفة : فريضة فى الحج مُحَكمة ، وركنٌ من أركانهِ الأصيلة .

وقد حدّدت الشريعة الإسلامية للوقوف وقتاً خاصا هو يوم التاسع من ذى الحجة إلى ما بعد غروب الشمس .

***

أنّ يوم عرفة هو يومُ تعرُّف إلى الله ، وإقبال عليه سبحانه بالحمد والشكر ، والدعاء والاستغفار ، هو يومٌ لا يشغل العبادَ فيه شاغلٌ عن الابتهال إلى الله ، والجدِّ فيما ينالون به رضوانه .

***

وإذا كانت حال الناس عند دخولهم أرض الحرم .. متجردين من كل ترَفٍ وزينة هى حال الخلائق فى الآخرة عند البعث والنشور وانتفاضتهم من القبور فإن اجتماعهم فى "عرفة " ، آلافا مؤلفة يشبهُ حشدهم فى أرض المحشر يوم العرض الأكبر وقيامهم

للحساب بين يدى الإله الأعلى الأكبر .

فموقف الناس فى " عرفة " ، عرضةٌ تشبه عَرْضَه الآخرة ، فيجب عليهم أن يستمدوا من الأولى ما يثبت قلوبهم فى الآخرة ليظفروا بالنجاة ، ويسعد مصيرهم يوم الجزاء .

***

والأضحية : سنةٌ مؤكدة ، تلزمُ القادر عليها - وهو الذى يملك ثمنها زائداً عن حاجته وحاجة من يعول فى عامه .

***

وتكون الأضحية من الضأن والمعزِ إذا بلغ سنة ، ومن البقر والجاموس إذا بلغ سنتين، ومن الإبل - أى الجمال - إذا بلغت خمس سنين .

وكلٌ من البقر والجاموس والإبل تجزى عن سبعة بيوت ، ويشترط فى الأضحية السلامة من العيوب .

ووقت الأضحية يبدأ بعد الفراغ من صلاة العيد ، ويستمر وقتها إلى غروب شمس رابع أيام العيد .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

فى الحق أن الهجرة كانت حَدَثاً من أروع أحداث التاريخ ، فقد كانت برهاناً واضحاً على أن النفس الإنسانية يمكن أن تسمُو بالعقيدة الصحيحة الى أفق من الكمال يتضاءل أمامها فيه كل ما يَأْسِرُ النفوس من : حب الوطن ، والاعتزاز بالأهل والمال ، والجاه والولد .

كانت الهجرة ختاماً لمعركة عنيفة بين الحق والباطل : صَابَرَ فيها المسلمون ، واحتملوا من المبطلين كل أنواع الظلم المبين ، وبدايةً لمعركة أخرى تألبتْ فيها كتائب الباطل بزهْوِها وعنادها وجبروتها ودسائسها على جموع الحق بإيمانها وفضائلها ، فكتب الله فيها النصر للمسلمين .

أجل .. كانت الهجرة خُطوةً موفقة انتقلت بها الدعوة الإسلامية من محيطها الضيق فى مكة إلى المدينة الفسيحة ، وأخذت منها فى سُبُل الذيوع والانتشار فى آفاق الأرض .. وتحولتْ بها من أناسٍ أجُدبتْ عقولهم ، وتُحجرَّتْ قلوبهم إلى عقول مُخْصبة ، وقلوب لينة وجدت الدعوة فيها سبيلاً لتيارها ، فتدفَّقَ فيها قراناً غَدَقًا ، وأنهمر منها سلسبيلاً عذباً ، فروَّىَ غليل الانسانية المعذبة فى الشرق والغرب ، وسار بها الإسلام من أفُقِ مكة إلى أفق المدينة ، كما يسير القمر من الغرب : هلالاً ناميا إلى الشرق فيصير بدراً كاملا .

***

ظل النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس إلى التوحيد

ومكارم الأخلاق ، ناعياً عليهم شِركَهُم ووثنيتهم ، ونظامهم الاجتماعي الذي فرَّقهم : سادة وعبيداً ؛ ومُقَبِّحاً لعاداتهم الممقوته : كوأد البنات وشرب الخمر ، ومستهجِناً لافتخارهم بالأموال والأنساب ، ومسفها لتقليدهم الأعمى للآباء والأجداد .

* * *

وقد وجدتْ قريش فى هذه الدعوة الجديدة مصدر خطر كبير على نفوذهم وسيادتهم ومكانتهم الدينية الممتازة بين القَبَائل العربية ، ووجدوا فى قوة بيان محمد صلى الله عليه وسلم ما يوشك أن يجذب قلوب الجماهير إلى دعوته فرأوا أن يقضوا عليه قبل أن تنتشر دعوته ، وأجمعوا أمرهم على مناهضته ، وسلكوا فى إيذائه طرائق شتى .

* * *

فلما أعْيَتْهُم الحِيل ورأوا عشيرته يحْمُونه أخذوا يفننون أتباعه بالأذى والعذاب .. عند ذلك اذن النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى أرض الحبشة ، فلما رأت قريش ذلك اتفقت كلمتهم على أن يحصروا النبى صلى الله عليه وسلم وعشيرته من بنى هاشم وبنى المطلب فى بعض شِعَابِ مكة حتى يَهْلكوا ، وحاصروهم ثلاث سنين حتى أجهدهم الجوع .

* * *

ولم يكد النبى صلى الله عليه وسلم يتنسَّمُ نَسيمُ الحرية بعد هذا الحصار الطويل حتى أصيب بفقد عمه أبى طالب وزوجه السيدة خديجة رضى الله عنها ، فخلت الدار من الناصر المؤازر ، والحبيب المؤنس ، وتجهمتْ له قريش ، وأمْعنتْ فى إيذائه ، فهاجر إلى الطائف – قريباً من مكة – لكنهم لم يكونوا أبَرَّ به من قريش ، فقد أعرضوا عنه وآذوه ، وأغروا به سفهاءهم يَحْصِبُونَهُ بالحجارة حتى دميتْ قدماه الشريفتان ، وألجأوه هو وزيد بم حارثه إلى خارج الطائف .

* * *

وهنالك فاضتْ أشجانه ، واعْتَلجَتْ فى صدره همُوُمُه فدعا بدعائه المشهور :

اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلني إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِى ؟ أم إلى عَدُوّ مَلَّكْتَهُ أمرى ؟ إن لم يكن بك غَضَبٌ علىّ فلا آبالى ، لكن عافيتك هى أوسعُ لى .

أعوذ بنور وجْهك الذى أشرقتْ له الظلمات ، وصَلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى سخطك ، أو يحل علىَّ غضبك ، لك العُتْبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

أما بعد ، فقد أخذ النبى صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك - يَعْرِضُ نفسه على قبائل العرب فى مواسم الحج ، ففى سنه إحدى عشرة من النبُوَة لقيهُ عند العقبة ستةٌ من أهل المدينة فعرض عليهم الإسلام فآمنوا وَصَدَّقُوا .

وفى العام القابل لقيهُ منهم اثنا عشر رجلاً فبايعوهُ على التوحيد ومكارم الأخلاق - وهى بيعةُ العقبة الأولى - وبعث معهم النبى صلى الله عليه وسلم : مصُعب بن عمير رَضِىَ الله عنه إلى المدينة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الدين .

***

فلما جاء موسم الحج وفَدَ إلى مكة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم على أن يَحْمُوهُ إذا قدم عليهم المدينة مِمَا يحمون منه أنفسهم وأبناءهم ؛ وهى بيعة العقبة الكبرى .

ورأى النبى صلى الله عليه وسلم فى إيمانهم فاتحة خير لإنقاذ المسلمين المضطهدين بمكة وتحويل مجرى الدعوة الإسلامية إلى نفوسٍ أكثر صلاحية واستعداداً لقبولها .

أليس هو رسول الله إلى الناس كافة ؟ فعلام الإقامة إذن بمكة وقد تحجرت قلوب

أهلها فليس للدعوة سبيلٌ للولوج فيها ؟

وأذن النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالاً متتابعين ، وأقام هو بمكة حتى يأذن الله له بالهجرة .

وكانت قريش قد أحسَّتْ بالخطر الذى يهدّدُها إذا هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا بدار الندوة ، وبعد مشاورة ونقاش اتفقوا على أن يجمعوا من كل قبيلة فتى شابا فيقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتفرق دمُه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلها وبينما هم فى تَدْبيرِهم الآثم إذا بالوحى يتنزل على النبى صلى الله عليه وسلم يَفْضَحُ كيدهم فيقول تعالى : " وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " ، الأنفال .

اذِن للنبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، فهاجر هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وفى الغار انصت الرسول وصاحبه الى وقع أقدام المطاردين فأخذ أبا بكر الروع وهمس : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ، لكن صوت الإيمان ينبعث من أعماق الهادى صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول لصاحبه : يا أبا بكر ماظنك باثنين اللهُ ثالثهما ، وصدق الله العظيم : " إلا تنصروه فقد نصرهُ الله إد أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن .. إن الله معنا " ، الآية -٤٠- التوبة .

***

واستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أعظم استقبال ، ولقى ترحيباً كبيراً فأقام بها عَشْرَ سنوات نظم فيها قواعد الدولة الإسلامية ، ولَبثَ طوال تلك المدة فى حروب مع قريش واليهود والمتألبين عليه من قَبائل العرب حتى أظهره الله عليهم جميعا وأتم عليه نعمته بدخول الناس فى دين الله أفواجا ، فكانت الهجرة فى الواقع بداية لأعظم الفتوحات فى تاريخ الأسلام .

***

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ذكرى الإسراء والمعراج

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ الأسراء .

* * *

آيتان من آيات الله العظام ، وشاهدان من الشواهد الناطقة بعظمة الله وقدرته ، وسَعَةِ علمه وتصرفه فى الكون كما يشاء ، شاهَدَ فيها قلب النبى صلى الله عليه وسلم من جلال الله ما شاهد ، وأبْصَرَتْ عيناه من ملكوت الله ما شاء الله لهما أن يُبصراه هاتان الآيتان هما : الإسراء .. والمعراج .

* * *

أراد الله - وهو ذو الإفضال والإنعام ، والحفىُّ بنَبِيِّه محمد عليه الصلاة والسلام - أن يُسَرِّىَ عن نفسه المُتَحَسِّرَةِ على عدم إيمان قومه ، وأن يشرح صدره بأن يُرِيَهُ أمارات النصر ، وأن دينه سينتشر ويظهر ، ويَبلغ ما بلغ نور الشمس وضوء القمر ، فأسرى بعبده محمد صلى عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عُرِجَ به إلى السموات السبع وما فوق السبع ، حيث تجلىٌّ عليه بأنواع التجليات ، وفرض عليه وعلى أمته أعظم أركان الأسلام - بعد الشهادتين - وهى : فريضة الصلاة .

* * *

وذلك أن جبريل عليه السلام احتمل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام

وأجرى له عملية شق الصدر بإذنه تعالى ليتحمل مخاطر الرحلة ، ثم أُتيِ بالبراق - وهو دابةٌ وسَطَ يضع خطوهُ عند منتهى بصره - فركبه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبصُحْبَته جبريل الأمين حتى بلغ بيت المقدس .

دخل المسجد الأقصى فوجد بعض الأنبياء فى استقباله : تشريفاً له وتكريماً ، فأخذ جبريل بيد النبى فقدَّمَهُ فصلى بهم ركعتين إماماً - فهو أمام المرسلين - ثم خرج فجاءه جبريل بإناء من لبن ، وإناء من خمر ، فاختار اللبن ، فقال له جبريل اختَرْتَ الفِطْرة .

وفى هذه البقعة المباركة أُتِى النبى صلى الله عليه وسلم بالمعراج ، فصعد ومعه جبريل إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل : من أنت ؟ قال جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : وقد بُعثَ إليه ؟ قال : نعم .

فقال : مرحباً به ، ثم فُتِحَ لهما فإذا آدم عليه السلام ، فسلم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال : مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح .

ثم عرجَا إلى السماء الثانية فإذا عيسى ويحى عليهما السلام فرحبا بالنبى ، وهكذا كان يحدث فى كل سماء .

فوجدا فى السماء الثالثة : يوسف عليه السلام ، وفى الرابعة : إدريس عليه السلام وفى الخامسة : هرون عليه السلام ، وفى السادسة : موسى عليه السلام ، وفى السابعة : إبراهيم عليه السلام مُسْنِداً ظهره إلى البيت المعمور .

ثم عُرِجَ بالنبى إلى " سِدْرَةِ المنتهى " ، وهى شجرة عظيمة غَشيَهَا من جلال الله ما غَشيَهَا ، فما يستطيع أحد من خلق الله أن يصفها لحسنها قال تعالى : ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ " ، - ١٦- النجم .

* * *

ثم زُجَّ بالنبى صلى الله عليه وسلم وحْدَهُ فى سَبَحَاتٍ من النور ، فتجلى الله على حبيبه محمد بما يجلى وأوحى إليه ما أوحى ، وفرض عليه وعلى أمته خمسين صلاةً فى

اليوم والليلة .. فرجع الرسول حتى مرَّ بموسى عليه السلام فقال له : بم أمِرْت ، قال : بخمسين صلاة ، قال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف فرجع النبى إلى ربه فوضع عنه شطرها - نِصْفَهَا - ولم يزلْ يسأل ربه التخفيف حتى قال الحق تبارك وتعالى : هنَّ خمس صلوات فى اليوم والليلة وهُنَّ خمسون فى التواب .

فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جاوز نادى منادٍ : أمْضَيت فريضتى ، وخففْتُ عن عبادى .

فلما مرَّ النبى صلى الله عليه وسلم بموسى عليه السلام قال له : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ، فقال النبى الحبيبى الكريم : سألت ربى حتى استحيت ولكنى أرْضَى وأسلِم .

***

أما بعد ، فقد رجع النبى صلى الله عليه وسلم محفوفاً بالإكرام حتى هبط إلى بيت المقدس ومنه عاد على البُرَاق إلى مكة .

وفى الصباح خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام فجلس .. وهو مُطرِقٌ رأسه - يُفكِّرْ فمَرَّ أبو جهل - لعنه الله - فقال : هل مِنْ خَبَّر ؟.

قال : نعم .. أسْرِىَ بَى الليلة إلى بيت المقدس .

فقال أبو جهل : أرأيت لو دعوتُ قومك أنُخْبِرهُم بَما أخبرتنى به ؟ .

قال : نعم ، فنادى أبو جهل فيهم فحضروا ، فقصَّ عليهم الرسول القصة ، فصاروا بين مُصَدِقٍ ومتعجِّب ، وارتد أناس من ضعفاء الإيمان ، وسعى رجال إلى أبى بكر رضى الله عنه يخبرونه فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق .

قالوا : أنُصَدِّقُهُ على ذلك ؟ .

قال : أنى لأصَدِّقُهُ على أبْعد من ذلك - وهو خبر السماء - يريد مجئ الوحى فى ساعة من ليل أو نهار ، فسمى أبو بكر من ذلك اليوم ،صدِيقاً .

ثم أراد المشركون أن يختبروا الرسول فسألوه عن بيت المقدس ولم يكن رآه إلا فى هذه الليلة ، ولكن الله صَوَّرَهُ له فصار يصفُهُ لهم موضعاً موضعاً ، حتى قالوا : أما الوصف فقد أجاد ، ومع كل هذا لم يزدادوا إلا كفراً وعناداً فبُعْداً للقوم الجاحدين .

* * *

ونزل جبريل عند الزوال - زوال الشمس عن كبد السماء - فصلّي الظهر بالنبى صلى الله عليه وسلم مبُيِّناً له وقته .. وهكذا بين له بقية الصلوات الخمس وأوقاتها ؛ ومَنْ ثم صارت الصلاة فرضاً موقوتاً على المسلمين ، تشهدُ لمؤديها بخشوع وإخلاص وللمواظب عليها بالإيمان وصلاح الحال ، وحسن المآل .

وصدق الله سبحانه إذ يقول : إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا -١٠٣- النساء .

وحيث يقول : " أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا " ، -٧٨- الإسراء .

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فأشهدوا له بالإيمان " .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام دين الحرية

" فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ " ، -٤- محمد .

***

الإسلام دين الحرية السياسية والفكرية والدينية والمدنية ، وقد حاول كثيرٌ من باحثى الفرنْجة أن يشوّهوا هذه الحقيقة فقالوا : كيف يكون الإسلام دين الحرية مع أنه أباح الرّقْ والعبودية .

والواقع أن الإسلام لم يُقرّ الرّق إلا فى صورة تؤدى هى بنفسها إلى القضاء عليه بالتدريج .

ولتوضيح هذه الحقيقة يجب أن تعلم أن الإسلام ظهر فى عصر كان نظام الرّقّ فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحى الحياة الأقتصادية ، فلم يكن من الإصلاح الاجتماعى فى شئ أن يحاول مُشَرّعٌ تحريمه تحريماً باتاً لأول وهلة فإن ذلك يؤدى إلى أضرار بالغة لا تَقلُ فى سوء مَغَبّتها عما تتعرض له حياتنا فى العصر الحاضر مثلاً إذا أُلغِىَ بشكل فُجائى نظام البنوك أو حُرِم استخدام العمال ، وقُضى على كل مالِك أن يعمل بيده ، لذلك أقر الإسلام الرّق ، ولكنه أقَرّه فى صورة تؤدى هى نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج دون أن يحدث ذلك أىّ أثَر سَيّئ فى نظام المجتمع الإنسانى .

والوسيلة التى ارتضاها للوصول إلى هذه الغاية من أحكم الوسائل وهى تتلخص فى العمل على تضييق الروافد التى كانت تمدُّ الرّق وتغذّيه وتكفُل بقاءه ، وفى توسيع المنافذ التى تؤدى إلى العِتق والتحرير وبذلك أصبح الرّق اشبه شئ بجدول كثرت مَصَبَّاتُه وانقطعت عنه منابعه التى يستمد منها الماء ، وخليقٌ بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف ، وبذلك كفل الإسلام القضاء على الرّق فى صورة هادئة وأتاح للعالم فترة انتقال يتخلّص فيها شيئاً فشيئاً من هذا النظام الجائر .

* * *

كانت روافد الرّق فى العصر الذى ظهر فيه الإسلام كثيرة من بينها :

أولا " الحرب بجميع أنواعها ، فكان الأسير لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق .

ثانيا : الخطف ، فكان ضحاياه يُفْرضُ عليهم الرّق .

ثالثا : عجز المدِين عن سداد دينه فكان يُحكمُ عليه بالرق لمصلحة دائنه .

رابعا : سلطة الوالد على أولاده ، فكان يباح له أن يبيعهم بيع الأرقّاء .

خامسا : تناسل الأرقّاء ، فكان ولدُ الأمة يُولدُ رقيقاً .

وكانت هذه الروافد وغيرها تقذفُ كل يوم فى تيار الرّق بالآف من الأنفس حتى إن عدد الأرقاء كان يزيد فى كثير من الأمم على عدد الأحرار زيادة كبيرة .

* * *

جاء الإسلام وروافد الرق على هذه الكثرة فحرَّمها جميعاً ما عدا رافدين اثنين وهما : رِقّ الوارثة - وهو الذى يفرض على من تلدِهُ الأمة ، ورق الحَرْب - وهو الذى يُفْرَضُ على الأسرى - وعمد إلى هذين الرافدين فقيدهما بقيود تكفل الغاءهما بعد أمَدٍ غير طويل .

* * *

فمن أهم القيود التى قيد بها رقُ الوراثة أنه استثنى منه أولاد الجوارى من مواليهن ، فقرْر أنه مَنْ تأتى به الجارية من سيدها يُولدُ حَرًا .

ومن أهم القيود التى قيد بها المورد الثانى - وهو رقُ الحرب - فإن الإسلام لا يجعل الرّق نتيجة لازمة للأسْر بل يبيح للقائد الإسلامى أن يُمنّ على الأسرى بدون مقابل ، أو يطلق سراحه نظير فدية أو عمل يُؤدّونه أو فى مقابل أسرى من المسلمين عند العدُو .

بل أن القرآن تحاشى أن يذكر " الرّق " ، من بين الأمور التى يباح للقائد الإسلامى أن يُعَاملَ بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المَنّ والفداء .

قال تعالى : " فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى إذا أثخنتموهم فشدُوا الوثاق ، فإما منا بعْدُ وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها " ،

ولم يقل سبحانه : وإما استرقاقا.

وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر أنه كان يُطلق سراح الأسير مقابل تعليمه عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة .

* * *

أما بعد ، فهذا ما فعلهُ الإسلام حيال روافد الرّق ، وأبلغُ من هذا كله فى الدلالة على حرص الإسلام على مبادئ الحرية هو : ما سلكه حيال العتقُ وتحرير الأرقاء .

* * *

لقد كانت مَنَافذُ العتق قبل الإسلام ضيقة كلَّ الضيق ، فلم يكن له إلا سبيلٌ واحدة هى : رغبَةُ المولى فى تحرير عبده ؛ وكانت توضع أمامه العراقيل جاء الإسلام - وهذه حال العتق فى ضِيقِ منافذه - فحطم هذه القيود ، وفتح للأرقاء أبواب الحرية على مصاريعها ، فجعل الإسلام من أسباب العتق مجرد أن يجرى على لسان السيد لفظ يدل على عتق عبده - ولو هازلاً - أو لفظ بنِيِّة " التدبير " ، أى الوصية بتحرير العبد

بعد موت سيده .

* * *

وفضلاً عن هذا كله فقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الأخطاء - التى يكثر حدوثها - وجعل كفارتها : تحرير الأرقاء ، كالأفطار فى رمضان عمداً والحِنْثُ فى اليمين وغير ذلك .

ولم يكتف الإسلام بهذا ، بل خصص كذلك سَهْماً من مال الزكاة فى الإنفاق على تحرير الأرقاء ، فقال تعالى :

* إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ -٦٠- التوبة ، أى : وفى فكّ قيود الرّق عن رقاب الأرقاء .

* * *

ومن هذا يظهر صِدْقَ ما قلناه من أن الإسلام لم يُقِرَّ الرّق إلا فى صورة تؤدى هى نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الدين .. وحقوق الأنسان

" إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ "

-١١٨-١١٩ طه

***

تعلمون جميعاً أنه قد سار عَبْرَ التاريخ كثير من الفلسفات والمبادئ التى نادت بحقوق الإنسان وحرَّضَتْ عليها ، ولكن من حق الدين عليكم أن تعلموا أنه فضلاً عن الدَّوْرِ العظيم الذى قام به لتحرير الإنسان فإن أولَ وثيقة سجلتْ حقوق الإنسان كانت وثيقة دينية ، وإن الكتب المنزلة جميعها لتُسجِّلُ هذه الحقيقة ويصوِّرها القرآن الكريم فى وضوح حين يحدثنا عن قصة أبى البشر آدم عليه السلام فقد وقف آدم يستمع إلى أولى رسلات الله إلى البشر : مُتمثلين فى أبيهم ، وأشرقت كلمات الله ، فإذا هى - فى إيجازٍ وحسْم -وثيقة بحقوق هذا الإنسان وعهد يكتبه الله على نفسه : يا آدم .. " إن لك ألا تجوع فيها ولا تَعْرَى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى " .

***

وهكذا تلقَّى أبو البشر أول تأمين ضدُّ الْعَوَز ، فلا عُرْى ولا جوع ، وعندما دقتْ ساعة الرحيل إلى الأرض كان وعْىُ آدم لا يزال مفْعَماً بهذه الحقوق بيْدَ أنها - قبل اليوم وفى الجنة - كانت مكفولة بقدرةٍ خارجه عنه .

***

أما اليوم - وفى الأرض المجهولة ، التى وَلَّى وجههُ شطرها فإن عليه وحده صيانة

هذه الحقوق ؛ وكأنما أراد الله أن يُهيئه لما سيعانيه فى سبيلها من صراع فقال : "اهبْطوا بعضكم لبعض عَدُوّ " .

وصدق نذير السماء ، فمَرَقَ مِنْ صفُوفُ الإنسانية شذاذ تقمصتْ أجسادهُم طبائع الوحوش ؛ وضراوة الذئاب ، وأبواْ إلا عُلوّ فى الأرض وفساداً ؛ فهبُ الخيرون لحماية التُراث والنهوض بالأمانة " .

***

وهنالك نشب الصراع المشروع من أجل حق الإنسان فى أن يظل إنساناً لا يجوع - وسواعده هى التى تنبتُ الحبّ - ولا يَعْرىَ - وأناملهُ هى التى تنسجُ الثوب - ولا يستعبد - وقد وُلدَ حراً .

***

والآن تريد أن تعرف : كيف دعم الدين حقوق الإنسان وثبّتها ؟ ولماذا ؟ أما كيف؟

فقد سلك الدين لذلك طرُقاً كثيرة ، لكن أروع وسائلهِ وأعظمها تتمثل فى مُناداته بمبدأ التوحيد .. نعم .. إن إعلان الإله الواحد كان الضربة القَاصِمَة التى حطمت كل حاجز يقفُ بين الإنسان وبارئه ، وهوتْ بالمتآلهين عن عروشهمُ المُلحدة ، وقيل للإنسان يومئذٍ ؛ قيل للرُّجُل العادى : أنت وحدك ظِلُّ الله فى الأرض أنت خليفتُه .. انهضْ .. هذا الكون لك .. والشمس تجرى من أجلك .. ليس بينك وبين الله وسطاء .. استعنْ بالله ولا تعجز .

***

ومضى رُسُلُ الله عليهم السلام يخاطبوُن بغىَ البغاةَ ، وضعف المستضعفين ، ويعلنون فى قوةٍ وإصْرار أنّ لبابَ رِسالتهم :تحرير الإنسان ، ونشْرَ لوائه .

وجاء دور محمد صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذِرْوَة التحريض على التحرُّر والعزة ، وأحْدقتْ تعاليمه بالطغيان من كل مكان ، فانطلق يجلجل بوحْيِ الله :

" الناس سواسية كأسنان المشط " ، لا نيالة للذم ولا أمتياز بالوراثة ، ولا كرامة بمال أو حسب : قال تعالى : " إن أكرمكمَ عند الله أتقاكُمْ " .

* * *

ثم نَحَا بدعوة التحرير نحواً مُدَوّياً فقال يخاطب أصحابه ويخاطب الأجيال :

" إذا ذهب كِسْرَى فلا كسْروية بعده ، وإذا ذهب قيْصَر فلا قيصرية بعده ، ولقد أطلكم من الله خيرٌ جديد : نبُوَّة ورَحَمة .

* * *

أما بعد ، فقد رأينا : كيف كان رسْلُ الله عليهم السلام يعملون على تدعيم حقوق الإنسان إذن فلنسَمَعْ : لماذا أمرهمْ ربهم أن يحرِروا الناس وينقضوا عنهم كل ذِلَّةٍ وعار..

* * *

لقد اختار اللهُ الإنسان ليعْمُرَ هذا الكوكب الذى نعيش على ظهره . وما كان للإنسان - وهو مستعبدٌ ذليل - أن يجد لمهمته سبيلاً ولو أنه قُدّرَ لنا أن نرى الأرض قبل أن يفد الأنسان إليها ، وكيف أحالها مّنْ عماءٍ موحشٍ إلى : تحفة تزدانُ بآثار عقله وما عملت يداه .

إذن لآمَنَّا - فى بداهة - بأنه ، قبسُ من الإله .

ولقد اختارهُ أيضا ليكون خليفةً فى الأرض ، ومنفذاً لمشيئته عليها ، وأعلن ذلك فى كتابه الكريم حين قال سبحانه :

" إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً " ، -٣٠- البقرة .

وما دام الأمر كذلك فلابُدَّ أن يُتَاحَ لهذا الإنسان مِنْ فُرَصِ الكرامة والعزة والسيادة ما يجعلَهَ أهلاً لتمثيل إلهٍ اتصف بالعزة والكبرياء والسيادة .

* * *

من أجل ذلك فقد أصبح واضحاً كلَّ الوضوح : أنَّ حُقوق الإنسان من حقوق الله .
ومن أجل ذلك دعا اللهُ البشر ليرتقوا فقال تعالى :
" كُونُوا ربَّانيين " ، ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة مماثلة فقال :
" تخلقوا بأخلاق الله ، إن ربِّي على صراطٍ مستقيم " ،

* * *

ذلك ديننا الحنيف العظيم ، فخرنا .. وعزُّنا ، وصدق الله إذ يقول :
" مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ " - ٣٨- الأنعام .

* * *

هدانا الله .. ووفقنا .. وأعزَّنا .. وهيأ لنا من معانى العزة والكرامة ما يرفع من شأن أمتنا الإسلامية والعالم أجمع .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة العقل .. والعلم .. فى نظر الإسلام

" إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ " . -١٩٠- آل عمران .

***

إنَّ القارئَ لكتاب الله يرى : كيف تحثُّنا آيات كثيرة منه على التفكير : فى أنفسنا .. وفيما حوالينا من مخلوقات .. وفيما فوقنا من كواكب وسماوات : " قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ " ، -١٠١- يونس ، " وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ " -٢١ - الذاريات " فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ " ، -٢٤- عبس . إلى آخر هذه الآيات ، وذلك - ولا شك - برهان واضح على مكانة العقل والعلم فى نظر الإسلام اذ العقل : آلة التفكير ، والعلم : ثمرتُهُ .

وإذن يكون كل ما وردَ فى القرآن حاثاً على التفكير إنما هو إعلام عن فضل العقل، وإيحاء بالعمل على تربيته وتقويته ، وهو - فى الوقت نفسه - إعلان وتسجيل لفضل العلم ، وإيحاءٌ بتحصيله ، فيقف الإنسان على الحقائق ، وتزول عنه غشاوة الجهل ، ويتحرر من رقِ الأوهام والخرافات .

وبذلك كان الإسلام دين الفكْر - والعقل .. والعلم .

***

وحسبنُا أن رسول الإسلام لم يُقدِّمْ حَجّةً على رسالته إلا ما كان طريقها : العقل .. والنظر .. والتفكير .

ولم يشأله ربهُ أن يحقق للقوم ما كانوا يطلبون من خوارق حسّيّة تخضع لها أعناقهم ، فقال تعالى : أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " ، -٥١- العنكبوت .

* * *

وكان من مقتضبات أن الإسلام دين العقل ودين العلم أنْ عُنِىَ عنايةً كاملة بالإرشاد الى الوسائل التى تطهر المجتمع من الجهل ، فحاربَهَ وتتبعه فى كل وكرْ من أوكاره ، وفى كل لونٍ من ألوانه .

* * *

حارب جهالة الشِّرْكِ بالتوحيد ، وبث فى النفس والآفاق دلائلهُ ولفت اللإنسان إليها ، وحثَّهُ على النظر والتفكير فيها ليؤمنَ بإن العظمة التى يخضع لها ليست لأحد سواه . فلا يعترضه فى طريق الكمال ما ينسجه الإنسان حول نفسه من صور العظمات الزائفة .. فالعظمة لله وحده .

* * *

كما حارب جهالة التقليد ، وأنْكَرَ على الإنسان أن يُسلِمَ عَقلَهُ لغيره ، وأن يقف فى عقائده ومعارفه ووسائل الحياة عند ما خلفُه الآباء والأجداد من الأوهام والخرافات كما حدثتنا الآيات .

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ،-١٠٤- المائدة .

* * *

حارب أيضاً جهالة الأمية ، وأوحى بتعلُّيم القراءة والكتابة ، ورفع من شأن التعلم، وحسبنا فى ذلك أن يكون أول نداء إلهى يفتتح به الله وحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم تلكم الآيات الكريمة : ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ -١-٥-العلق .

***

وكما يُطلب القراءة على الإطلاق دون تقييد بمقروء ، مخصوص ، يطلب العلم أيضا دون تقييد بمعلوم مخصوص فيقول تعالى :

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " -٩- الزمر .

ويرشدنا هذا الإطلاق إلى أن العلم - فى نظر القرآن - ليس خاصاً بعلم الشرائع والأحكام من : حلال وحرام ، بل - ومع ذلك - يشمل أيضاً كل إدراك يفيد الإنسان توفيقاً فى القيام بمهمته العظمى التى أُلقيتْ على كاهله منذ قدْر خلقُه وجُعلَ خليفة فى الأرض ، وهى :

عمارتها ، واستخراج كنوزها ، وإظهار أسرار الله فيها .

***

عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : " إن من أشراط الساعة أن يُرفَعَ العِلم ويثبت الجهل " .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علماً سَهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضعُ أجنحتها لطالب العلم : رضا بما صنع " .

***

أما بعد ، فالواقع أن القرآن ارتفع بالعقل ، وسجل أنَّ إهماله سيكون سبباً فى عذاب الآخرة ، فقال تعالى - حكاية لما سيجرى على ألسنة الذين ضلوا فلم يستعملوا عقولهم فى معرفة الحق والعمل به :

" وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، -١٠- الملك .

***

وارتفع كذلك بالعلم ، فجعل أهلهُ – وحدهم – هم الذين يخشون الله من عباده بما أدركوا من آثار قدرته وعظمته فقال تعالى :

" إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ " ، –٢٨– فاطر .

* * *

ونحن إذ نستأنف حياةً جادةً عاملة – عمادُها : البحث .. والنظر .. والانتفاع بما سخَّرَ الله لنا فى موادِّ الحياة – علينا أن نذكرُ أننا لم نبْلُغْ – بَعَدُ – ما بلغه الشرق أو الغرب فى العلوم الحديثة .

وليس هدفُنا أن نصل إلى ما وصلُوا إليه من التقُّدم فى جميع ميادين الحياة المادية فحسب .

فإن تقدُّمَهُمْ هذا الأبتر من الناحية الروُحيُه المهدبة يُعرِّضَ العالم كلهُ للهلاك والدَّمار كما نرى .

إننا نريد علماً يقربنا إلى الله ، ويَصلُنَا به – وذلك هو شأن العلم المفيد – إذ كلما تعمق العالمُ فى اسرار الكون كلما وجب أن يزدادَ إيمانهُ بعظمة خالقه ، مما يفرضُ عليه طاعته فلا يستعمل علمهُ فى الخراب الشامل ؛ بل فى عمارة الكون .. وفى نُصْرة الحق

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

" ويبقى وَجْهُ ربك ذو الجلال والإكرام "

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٦-٢٨الرحمن .

هذه آيات من سورة " الرحمن " ،والآية الأولى من هذه السورة مكونه من :كلمة واحدة هى : " الرحمن" ، والسورة كلها - بعد ذلك - بيان للمسَات الرحمة ، ومعرض لآلاء ونعم الرحمن .

وَيَبْدَأُ عرض النعم بأنه سبحانه : " الرحمن .. عُلِّمَ القرآن " ، ولاشكَّ فى أن القرآن هو النعمه الكبرى ، التى تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان .

فالقرآن هو الذى يُقِرُّ فى أذهان البشر أنهم : خلفاء فى هذه الأرض .. وأنهم ، كرام على الله .. وأنهم : حملةُ الأمانة التى عرِضتْ على السموات والأرض والجبال فأبيْنَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان .

ومَنْ ثم قدمُ سبحانه تعليم القرآن - فى الذكر - على خلق الإنسان ، فبالقرآن يتحقق فى هذا الكائن معنى الإنسان .. فقال تعالى الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثم أتبع ذلك قوله : خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الرحمن .

نعم .. وهذه نعمة أخرى : علمه البيان " .

***

إننا نرى أنفسنا ننطق .. ونُعَبر ..ونُبين ، فننسى - لطول الألفة - عظمة هذه النعمة ، وغيرها من النعم ، فلتحاول ان تنظر : كيف يكون البيان ؟ أنه يبدأ شعوراً

بالحاجة إلى النطق بلفظ معين ، لأداء معنًى معين ، فيصدر المخ أوامره - عن طريق العصب - بالنطق بهذا اللفظ المطلوب .

وهنا ماذا يحدث ؟

تطرد الرئة قدراً من الهواء ليمر من الشعب .. إلى القصبة الهوائية .. إلى الحنجرة .. وحبالها الصوتية ، فيصوّت الهواء فى الحنجوة صوتا تشكله أنت حسبما تريد : عالياً أو خافتاً .. سريعا أو بطيئا .. ضخما أو رفيعاً ، ويشترك مع الحنجرة : اللسان والشفتان والفك والأسنان ، يمر بها هذا الصوت فيتشكل بضغوط خاصة فى مخارج الحروف المختلفة .

* * *

وذلك كله : لفظٌ واحد ، ووراءه : العِبارَة .. والموضوع .. والفكرة .. والمشاعر السابقة .. واللاحقة ؛ وكلُّ منها : عالم عجيب يعيش فى هذا الكيان الإنسانى بصنعة الرحمن ، وفضل الرحمن .

* * *

ويستمر عرض النعيم .. فتتفتحُ لنا صحائف الوجود ناطقة بآلاء ونعم الرحمن : الشمس والقمر .. والنجم والشجر .. السماء المرفوعة والميزان الموضوع . الأرض وما فيها من فاكهة ونخل وحب وريحان .الأنس والجان .. المشرقان والمغْربان .. البحران بينهما برزخٌ لا يبغيان ، وما يخرج منهما ، وما يجرى فيهما .

* * *

حتى اذا تم عرض هذه الصحائف الكبار منشورةً حَية ، أخذ سبحانه فى عرض مشهدها وهى مطوية فانيه ، ليكون هذا عرضاً لمشهد الفناء المطلق لهذا الكون فى ظل الوجود المطلق لله ، حيث يفرغُ المجالَ من كل حيٍّ إلا وجه الكريم الباقى : منفرداً بالبقاء والجلال : فيقول سبحانه :

" كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان"
بأىَ نعْمُةٍ مِنْ نعمه تكذبان أيها الثقلان : الإنس والجان .

* * *

وإنها لنِعْمة .. بل هى أساس النعم كلها ، فمن حقيقة البقاء الدائم لله ينبثق كل هذا الخلق الهائل ، فالحى الباقى هو الذى : يخلق ويُبْدع .. وهو الذى يحفظ ويكلا .. وهو الذى يحاسب ويجزى ، وهو الذى يشرف من أُفْقِ البقاء على ساحة الفناء ، وما كان لهذا العالم ان يَبزُغَ فجرُه ولا أن يستقيم أمره إلا ووراءه هذه الحقيقه :

حقيقة البقاء الدائم لله .. وراء الخلق الفانى .

* * *

أما بعد ، فمن حقيقة البقاء الدائم لله وراء الخلق الفانى تنبثقُ حقيقةٌ أخرى وهى أن كلَّ أبناء الفناء إنما يتجهون فى كل ما يقوم بوجودهم إلى : الواحد الأحد .. الفرد الصمد .. الحى الذى لا يموت فيقول تعالى :

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ " ،-٢٩- الرحمن .

نعم .. لأنه مناط السؤال ، وغيره لا يسأل ، لأنه فانٍ لا يتعلَّقُ به سؤال ، يسأله الكل وهو – وحده – الذى يستجيب ، وقاصدهُ – وحده – هو الذى لايخيب ، ومايتجه أحد إلى سوى الله إلا حين يخطئ الطريق .

إذ : ماذا يملك الفانى للفانى ؟ وماذا يملك المحتاج للمحتاج ؟

" يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ "

يسأله من فى السموات والأرض ، كل يومٍ هو فى شأن .

فهذا الكون الذى لا يعرف له حدود – كلُه : منُوطٌ بقدرِه ، مُتعَلَقٌ بمشيئته ، قائمٌ بتدبيره .

هذا التدبير الذى يتناول الوجود كله جملة ، ويتناول كلَّ فردٍ فيه على حدَة .

* * *

هذا التدبير الذى يتبعُ ما ينبت ، وما يسقُط من ورقة ، وما يكْمُنُ من حبة فى ظلمات الأرض ؛ وكلَّ رَطْب .. وكل يابس .

يتبع الأسماك فى بحارها .. والوحوش فى أوكارها .. والطيور فى أعشاشها وكل بيضة .. وكل فرخ .. بل كل خلية فى جسم حى .

* * *

فصاحب التدبير - سبحانه - لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يندُّ عن علمه ظاهر ولا خاف .

* * *

ومن هذه الشئون التى يدبرها شئون عباده فى الأرض من : إنس وجن ومن ثم فهو يواجههما بهذه النعم مواجهة التسجيل والإشهاد فيقول عقب كل نعمة :

" فبأى آلاء ربكما تكذبان " ؟ ، حيث لا يملك المنصفُ لنفسه إلا أن يعترف بفضل الله ونعمته .. وتدبيره وحكمته .

* * *

" قل : إن كنتم تُحِبُّون اللَّهَ فاتَّبِعُونى "

رسولنا .. وإمامُنا .. وقُدْوَتُنا .. وحَبِيبُنا .. سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

إنسان مُحب ودُود .. لو سألنا : لماذا أطاع الله كثيرا ؟ لكان الجواب : لأنه أحبَّ الله كثيراً .. لماذا بَرَّ الناس كثيراً ؟ لأنه أحب الناس كثيراً .. لماذا أقبل على الفضائل والواجبات مُبتهجاً ومُنشرحاً ؟ أيضا لأنه أحب الفضائل والواجبات .

ووراءَ كلِّ سلوكه ومواقفه وحياته صلى الله عليه وسلم نَجدُ : الحُبّ .

***

إذا سجد .. وأطال السُّجُود .. وسُمِعَ وجيب قلبه ، ونشيجُ تضَرُّعِهِ وبُكائه فذلك لأنه فى غمرة شوْقٍ جارف ، ومحبَّة آخذه ؛ ولهذا كان ينتظر الصلاة على شوق - لأن الصلاة فى نظره لِقاءٌ مع محبوبه الأكبر " الله " - كان ينتظر الصلاة على شوق ، فإ ذا جاء ميعادُها قال لمؤذنه : أرحْنا بها يا بِلال .. أجل .. أرحنا بها .. لا أرحْنَا منها .

وهذا هو الفارق بين : الحب .. ومجرد : أداء الواجب .

إن الواجب قد يُؤدَّى على كره ومضَض ، أما الحب فإنه يأخذ طريقه إلى أشق الأمور وأصعبها فى ابتهاج وارتياح وغبْطه .

***

ولقد بدأ محمد صلى الله عليه وسلم فأحبَّ ربه حُبا عظيما ، فالله سبحانه وتعالى هو : خالق الحياة كلها ، والأحياء جميعا .. فكلُّ حبّ لله ، هو - فى نفس الوقت - حبٌّ للحياة والأحياء ، لأن الحياة والأحياء :

" صُنْعَ اللَّهِ الَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ " -٨٨- النمل .

***

ذات يوم والرسول صلى الله عليه وسلم فى " الطائف " ، يدعو الناس إلى الله : سلط عليه أعداؤه بعض السفهاء يحصبونه بالحجارة حتى دَميتْ قدماه الشريفتان ، وأوى منهم إلى حائط " بستان " يتقى به الحجارة ، وجاشت نفسُ رسول الله بما تنطوى عليه مِنْ حَبّ لله ، فرفع بصره إلى سماء ربه ومحبوبه وقال :

اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفِين ، وأنت ربى ، إلى مَنْ تكلِنُى ؟ إلى بعيد يتجهَّمُنىِ ؟ أم إلى عَدُّوٍ مَلَكْتَهُ أمرى ؟.

ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن لم يكن بك غضب علّى فلا أبالى .. الله أكبر.. إن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يبالى العذاب ولا الألم إلا إذا كان ذلك تعبيراً عن تخلى الله عنه ، أما إذا لم يكن اللهُ غاضباً ولا كارهاً ، فمرحباً بالألم ، ومرحباً بكل ما يكيدُ به السفهاء .

لكنه صلى الله عليه وسلم فى نفس اللحظة يدرك أنه : لا ينبغى للمُحبّ – الصادق فى حبه لله – لا ينبغى أن يشغله : استعذابُ التضحية عن رجاءِ العافية فهو يُتبعُ ضراعته السّالفة بضراعة أخرى ويقول : لكن عافيتك هى أوسعُ لى .

* * *

نعم .. إن الحبَّ فى غِمارِ التضحية به شئ جميل ، لكن الحب – فى غمار العافية أوفى وأجمل ، فهو إذن صلى الله عليه وسلم ينشد العافية لأنها تُتيحُ له : المزيدُ من الحب ، والمزيد من الطاعة لمن أحب .. وهكذا ناجى ربه تلك المناجاة الكريمة .

" إن لم يكن بك غضبٌ علىَّ فلا أبالى ، لكن عافيتك هى أوسع لى " .

* * *

لم يُقَلْ : عافيتك أحبُّ لى ، بل قال : أوسعُ لى ، ذلك أن المحب الصادق فى حُبه لله – لا يختار لنفسه ، إنما يرضى باختيار الله له ، ويسْتسْلمُ لقضائه فيه .

ذات يوم يدخل النبى صلى الله عليه وسلم على وليده الحبيب الرضيع : إبراهيم - وهو مسَجّى فى فراش الموت - ، ويتدفقُ حنانه صلى الله عليه وسلم غامراً ، لكنه لا يزيد على أن يقول - وعيناه تبكيان - : تَدْمَعُ العين .. ويحزن القلب ولا تقول ما يُسْخِط الرب .

* * *

أجل .. هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم لربّه ومولاه : حب يفوق كلَّ وَصْف ، حب نابع من الله وَعَائِدٌ إليه ، حب يحرر صاحبه من كل ما يسخِطُ محبوبه العظيم .

وتظهر الإيجابيه فى حب محمد صلى الله عليه وسلم لربه ومولاه حين يضع الصدق فى العلاقة باللله موضع التقديس ، وإذ كان الرّياء يعنى : فقدان الصدق فى العلاقة بالله ، وفقدان الصدق يعنى بدوره : تهالك الحُبّ وزيفه ، فقد حذّر النبى صلى الله عليه وسلم من الرياء .

ولم تكن هناك رذيلة هى أبغض إلى نفسه من الرياء ، يقول صلى الله عليه وسلم لاصحابه : " إن أخوف ما أخافُ عليكم : الشركُ الأصغر قالوا " وما الشركُ الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء .. يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم يوم القيامة : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا : هل تجدون عندهم جزاءً " ؟ .

إن الإخلاص هو الذى يكشفُ صدْق الحب وزيْفه ، وحب غيرُمُفْعَم بالإخلاص لا يكون حباً على الإطلاق ، ولقد أحبَّ محمد ربه ، وعلم الناس : كيف يحبونه ؟.

* * *

يقول صلى الله عليه وسلم : " أحِبُّوا الله لما يَغْذُوكم به مِنْ نعمِه ، وأحِبُّونى لحبُ الله إياى " .

* * *

أما بعد ، فذلك طرفٌ من حب محمد لله : فإذا جئنا لحُبّ محمد صلى الله عليه

وسلم للناس وجدنا نفس الصدق .

إن محمداً صلى الله عليه وسلم يحب الناس جميعا - وهو الذى ألقى الله إليه بكلمات الهدى والصلاح ، بل إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس جميعاً لتمثل تبعات حبه للناس جميعا ، فالذى يدعو الناس إلى النجاه لاشك أنه يحب الناس..

* * *

وإنه صلى الله عليه وسلم ليدْعُو الناس كى يُحبَّ بعضهم بعضا ، بل ويجعل الحب آية الإيمان وعلامته يقول صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا " .

فشرطُ دخول الجنة : الإيمان ، وشرط الإيمان : المحبة .

ويعنى صلى الله عليه وسلم بكل ما من شأنه أن ينعش عواطف الحب فيقول : إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه ، واسم أبيه ، وممَّنْ هو فإنه أوصلُ للمودّة .

ولما كانت آداب الصُّحْبَةَ مما يشُدّ آصرة الحب ، ويُزكِى مشاعر الود ، فقد أولاها الرسول عناية واهتماما يقول صلى الله عليه وسلم :

" اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى أثنان دون الثالث ، فإن ذلك يُحْزِنُه " ، والمناجاة : "السِّرْ" .

ويقول صلى الله عليه وسلم : " لا يقيمن أحدكم رجلاً من مَجْلِسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسَعوا وتفسحوا يفسح الله لكم " .

وفى آداب الصحْبَةَ ، وما يغرسُ فى النفوس المحبة بقول صلى الله عليه وسلم :

" إذا تصافح المسلمان تحاتَّتْ ذنوبهما كما يتحاتٌ ورقُ الشجر " .

* * *

إن مَنْ أحبَّ أن يجد حلاوة الإيمان فى قلبه فعليه بالحب : حُب الله ورسوله وحب

الناس ، وحب دين الله .

يقول صلى الله عليه وسلم :

" ثلاث مَنْ كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يُلقى به فى النار " .

***

هدانا الله ، ووفقنا ، وأعزَّنا ، ونصرنا ، وهَيَّأ لنا من معالى الحب فى الله ما يرفع من شأن أمتنا العربية والإسلامية .

***

دعاء ..

اللهم مُنزل الكتاب .. ومُجزِىَ السحاب .. وهازِمَ الأحزاب .. اهزمهم وانصرنا عليهم ، اللهم نصرك الذى وعدتنا .. اللهم استُرْ عوراتنا ، وآمنْ رَوْعَاتنا ..

ربنا اغفرْ لنا ذنوبنا ، وإسْرافنا فى أمرِنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين ربنا ظلمنا أنفسنا ، وأن لم تغفر لنا وترحمْنا لنكونن من الخاسرين .

نعوذ بعفوك من عقابك و نعوذ برضاك من سخطك ، ونعوذ بك منك ، جلَّ وجهك، لا نُحصِى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

اللهم إنا نسألك بكل اسم هُوَ لك ، سُميت به نفسك ، أو أنزلتَه فى كتابك أو علمتَهُ أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علِم الغيب عندك .

أن تجعل القرآن العظيم : ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاءَ همّنا ، وذهاب حُزْننا ،

ياحىُّ حين لاحىّ .. ياحىُّ مُحى الموتى .. ياحىُّ لا إله إ لا أنت .. ياحُى ياقيوم برحمتك نستغيث .. أشهد ألا اله إلا الله ، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله وأشهد أنك يا رسول الله قد بلغْتَ الرسالة ، وأديت الأمانة ،

ونصحْتَ الأمة ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدتَ ربك حتى أتاك اليقين . فصلى الله عليك كثيراً ، أفضل وأطيب وأكمل ما صلّى على أحدٍ من الخلق أجمعين .

اللهم اجزِ عنا نبينا أفضل ما جزيتَ أحداً من النبيين والمرسلين .

اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، والدرجة العالية الرفيعة ، وابعثْهُ مقاماً محموداً الذى وعدته . إنك لا تخلف الميعاد .

ربنا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول ، فاكْتُبْنَا مع الشاهدين .. والحمد لله رب العالمين .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

تم بحمد الله

حسن توفيق شريف

كبير الأئمة وشيخ مسجد

سيدى جابر

فهـــــرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٣
فاتحة الكتاب	٥
القرآن .. المعجزة الخالدة	١٠
من يطع الرسول فقد أطاع الله	١٤
الإسلام هو الصراط المستقيم	١٨
صفات المتقين	٢٢
البُر فى العقيدة .. والعمل .. والخلق	٢٦
" الم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم "	٣٠
مقارنة بين متاع الدنيا ونعيم الآخرة	٣٤
" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير "	٣٨
لماذا نحن مُطالبون بتقوى الله ؟..	٤٣
رعاية الإسلام لليتامى	٤٦
" وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب "	٥٠
" واتل عليهم نبأ ابنى آدم " .. قابيل .. وهابيل	٥٤
نظرة الإسلام إلى الأموال	٥٨
" ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا "	٦٣
فى ذكرى المولد النبوى الشريف	٦٨
خطبة عيد الفطر	٧٣
خطبة عيد الأضحى..	٧٦

تابع الفهـــــرس

الموضوع	رقم الصفحة
منْ هم المؤمنين المفلحون	٧٩
المهاجرون .. والأنْصار	٨٤
" إياكم والظن .. فإن الظَّنَّ أكذب الحديث "	٨٨
فتح مكة	٩٣
" يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "	٩٨
" وأذِن فى الناس بالحج "	١٠٣
فى ذكرى هجرة الرسول ﷺ	١٠٧
.فى ذكرى الإسراء والمعراج	١١١
الإسلام دين الحرية	١١٥
الدين .. وحقوق الإنسان	١١٩
مكانة العقل .. والعلم .. فى نظر الاسلام	١٢٣
" ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجلال والإكرام "	١٢٧
" قل : إن كنتم تَحبون الله فاتَّبِعونى "	١٣١
دعَاء	١٣٦

ال
بالملكة
مكتبة
ت: ٧٠

